

تقديم فضيلة الشيخ

أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

إعداد

أبي عبد الرحمن

أكرم بن عبده قائد البعداني

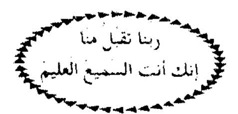


دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩





الطبعة الأولى
٢٠٠٩

رقم الإيداع
١٥٢٠٨ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولي
977/331/461/8



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠-٠٢-٥٢٢٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مقدمة فضيلة الشيخ

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام علىٰ أشرف المرسلين.

أمّا بعد:

فقدْ وقفْتُ علىٰ رسَالة «**القلوب المطمئنّة**» لأخينا / أبي عبد الرحمن أكرم البعداني.

فوجدتُ نفحة من نفحات السّلف، وصدىً لأصواتهم، وقد تميز هتاف ابن القيم - رحمه الله - عن غيره ليصل إلىٰ الأعماق، وصدىٰ يوسف بن أسباط يكاد يسبق وهو يهتف: «خلقت القلوب مساكن

للذكر ، فصارت مساكن للشهوات، ولا يمحو الشهوات إلاّ خوف مزعج أو شوق مقلق» [١].

فدونك أعواد ريحان قطفها لك أخ محبٌّ، فتقبّلها بقبول حسن؛ فإنّ النّبيَّ - ﷺ - قال: **«مَنْ عُرِضَ عليه ريحان فلا يردّه؛ فإنّه خفيف المحمل طيب الريح»** [٢].

وكتبه

أبو عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي



(١) «السّير» (٩/ ١٧٠).

(٢) رواه مسلم (٢٢٥٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد:

فلمّا كان القلب هو أشرف أعضاء البدن وسائر الأعضاء إنّما هي بأمره ونهيه؛ فجدير بالعبد البحث عن الأعمال الّتي فيها صلاحه وطمأنينته في الدّارين.

وقد بيّنت في هذه الرسالة الّتي أسميتها

«**طمأنينـــة القلـــوب** » مكانة القلوب، وأنواعها، وما يصلحها ويفسدها من أقوال سلف هذه الأمة .

راجيًا من المولىٰ – عزّ وجلّ – أن ينتفع بها كلّ من قرأها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلىٰ الله علىٰ نبيّنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلّم.

وكتبه

أبو عبد الرحمن

أكرم بن عبده قائد البعدانيّ



مكانة القلب

لما كانت القلوب هي محلّ نظر الله - عزّ وجلّ - فبصلاحها يصلح العمل والجسد، وبفسادها يفسد العمل والجسد؛ وجب علىٰ كل مسلم ومسلمة تفقّد هذا القلب والاهتمام به، وعدم الغفلة عنه، والحرص كل الحرص علىٰ الأعمال الّتي تجلب السعادة والطمأنينة له، واجتناب الأعمال والأفكار الّتي تُسيئ إلىٰ القلب وتُمرضه، بل قد تُميته وتُتْلفه.

قال الإمام الحافظ ابن القيم - رحمه الله -:

«القلب هو الملك المشغل لجميع آلات البدن، والمستخدم لها، فهو محفوف بها، محشود، مخدوم، مستقر في الوسط.

وهو أشرف أعضاء البدن، وبه قوام الحياة، وهو منبع الروح الحيواني والحرارة الغريزية.

وهو معدن العقل والعلم،والحلم والشجاعة، والكرم، والصبر والاحتمال، والحب والإرادة ، والرضا والغضب، وسائر صفات الكمال.

فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها، إنّما هي من أجناد القلب.

فإنّ العين طليعته ورائده الذي يكشف له المرئيّات، فإن رأت شيئًا أدّته إليه، ولشدّة الارتباط الّذي بينها وبينه، إذا استقر فيه شيء ظهر فيها، فهي مرآته المترجمة للناظر ما فيه.

كما أنّ اللسان ترجمانه المؤدي للسمع ما فيه.

ولهذا كثيراً ما يقرن – سُبْحانه – في كتابه بين هذه الثلاث، كقوله: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وكذلك يقرن بين القلب والبصر ،كقوله – تعالىٰ–:

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾[الأنعام: ١١٠].

وكذلك الأذن هي رسوله المؤدّي إليه.

وكذلك اللسان ترجمانه.

وبالجملة: فسائر الأعضاء خدمه وجنوده، وقال النّبيّ - ﷺ -: **«ألا وإنّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**[١].

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طابت جنوده، وإن خبث الملك خبثت جنوده»[٢].



(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه -.

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٢/١٦).

استقامة القلب

قال الإمام الحافظ ابن القيم - رحمه الله - [١]:

«**فاستقامة القلب بشيئين:**

أحدهما - أن تكون محبة الله - تعالىٰ - تتقدّم عنده علىٰ جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله - تعالىٰ - وحب غيره سبق حب الله - تعالىٰ - حبّ ما سواه، فرتب علىٰ ذلك مقتضاه.

ما أسهل هذا بالدعوىٰ، وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان يُكرم المرء أو يهان، وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبّه كبيره وأميره وشيخه وأهله علىٰ ما يحبّه الله - تعالىٰ -، فهذا لم تتقدم محبة الله - تعالىٰ - في قلبه جميع المحاب ولا كانت هي الملكة

---

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص١٠ - ١٢).

المؤمرة عليها، وسُنّة الله - تعالىٰ - فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه، ولا ينال شيئًا منها إلاّ بنكد وتنغيص جزاء له علىٰ إيثار هواه وهوىٰ من يعظّمه من الخلق أو يحبّه علىٰ محبّة الله - تعالىٰ -.

وقد قضىٰ الله - تعالىٰ - قضاءً لا يُردّ ولا يُدْفع؛ أنّ من أحبّ شيئًا سِواه عُذّبَ به ولابدّ، وأنّ من خاف غيره سُلّطَ عليه، وأنّ من اشتغل بشيء غيره شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يُبارك فيه، ومن أرضىٰ غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد.

الأمر الثاني -الّذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر النّاهي؛ فإنّ الله - تعالىٰ - ذمّ من لا يُعظم أمره ونهيه، قال - سُبْحانه وتعالىٰ -: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)﴾.

[نوح: ١٣].

قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله – تعالىٰ – عظمة، وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنّهي: هو أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال، ولا يحملا علىٰ علّة توهن الانقياد[1].

ومعنىٰ كلامه أنّ أول مراتب تعظيم الحق– عزّ وجلّ – تعظيم أمره ونهيه، وذلك المؤمن يعرف ربه– عزّ وجلّ – برسالته الّتي أرسل بها رسول الله – ﷺ – إلىٰ كافّة النّاس، ومُقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنّما يكون ذلك بتعظيم أمر الله – عزّ وجلّ – واتّباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله – تعالىٰ – ونهيه دالاً علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان

(١) والمعنىٰ هنا: أن لا تخالف أوامر الله – سبحانه وتعالىٰ – بالأعذار والرخص عمداً، ولا نتشدد حتىٰ نحرم بعض ما أحله الله –عز وجل – لنا.

والتصديق وصحّة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر؛ فإنّ الرّجل قد يتعطىٰ فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتّقي المناهي؛ خشية سقوطه من عينهم وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود الّتي رتّبها النّبيُّ - ﷺ - علىٰ النّاهي، فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها، والتّفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة، ويعلم أنّه إن تقبلت منه صلاته منفرداً؛ فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا، ولو أنّ رجلاً يُعاني البيع والشّراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقّة قيمتها سبعة وعشرون ديناراً لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خيرٌ من ألف وألف ألفٍ، وما شاء اللهُ - تعالىٰ -.

فإذا فوّت العبد عليه هذا الربح قطعًا – وكثير من العلماء لا صلاة له – وهو بارد القلب فارغ، هذه المصيبة غير مرتاع لها؛ فهذا عدم تعظيم أمر الله – تعالىٰ – في قلبه، وكذلك إذا فاته أوّل الوقت الّذي هو رضوان الله – تعالىٰ –، أو فاته الصفّ الأوّل الّتي يُصلّي الله وملائكته علىٰ ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه، ولكانت قرعة، وكذلك فوات الجمع الكثير الّذي تضاعف الصّلاة بكثرته وقلته كلّما كثر الجمع كان أحب إلىٰ الله – عزَّ وجلّ –، وكلّمَا بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة، وأخرىٰ ترفع درجة، وكذلك فوات الخشوع في الصَّلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرّبّ – تبارك وتعالىٰ – الّذي هو روحها ولبّها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميّت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يُهدي إلىٰ مخلوق مثله عبداً ميتًا أو جاريةً ميتة؟!، فما ظنّ هذا العبد أن تقع تلك الهدية

ممن قصده بها من ملك أو أمير و غيره، فهكذا سواء الصلاة الخالية من الخشوع والحضور وجمع الهمّة علىٰ الله – تعالىٰ – فيها بمنزلة هذا العبد – أو الأمة – الميت الّذي يريد إهداءه إلىٰ بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله – تعالىٰ – منه، وأن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ولا يثيبه عليها؛ فإنّه ليس للعبد من صلاته إلاّ ما عقل منها كما في «السّنن» و«مسند الإمام أحمد» وغيره عن النّبيّ – ﷺ – أنّه قال: «**إنّ العبد ليصلّي الصّلاة وما كتب له إلاّ نصفها، إلاّ ثلثها، إلاّ ربعها، إلاّ خمسها -حتّىٰ بلغ – عشرها**»[1].

وينبغي أن يُعلم أنّ سائر الأعمال تجري هذا المجرىٰ، فتتفاضُل الأعمال عند الله – تعالَىٰ – بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها، وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٦)، وابن حبان (٨٨٦)، وحسّنه العلاّمة الألباني – رحمه الله تعالىٰ – في «صحيح الجامع» (١٦٢٦).

العمل الكامل هو الّذي يُكفّر السّيّئات تكفيراً كاملاً، والنّاقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة.

وهما : تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسّيّئات بحسب كماله».



أنواع القلوب وأقسامها

القلوب علىٰ أنواع وأقسام عديدة، كل نوع وقسم لها خصائص وصفات معيّنة.

قال الإمام ابن القيّم - رحمه الله - (١):

ولما كان القلب يوصف بالحياة وضدها، انقسم بحسب ذلك إلىٰ هذه الأحوال الثلاثة:

الأول - القلب الصحيح:

فالقلب الصحيح: هو القلب السليم الّذي لا ينجو يوم القيامة إلاّ من أتىٰ الله به، كما قال-سُبحانه وتعالىٰ: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشّعراء: ٨٨، ٨٩].

---

(١) انظر: «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (ص١١ - ١٥).

فالسّليم هو السّالم، وجاء علىٰ هذا المثال؛ لأنّه للصفات، كالطّويل والقصير والظريف.

فالسّليم القلب الّذي قد صارت السّلامة صفة ثابتة له، كالعليم والقدير، وأيضًا فإنّه ضد المريض والسّقيم والعليل.

وقد اختلفت عبارات النّاس في معنىٰ القلب السّليم، والأمر الجامع لذلك:

أنّه الّذي قد سلم من كل شهوة تُخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره.

فسَلِمَ من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله. فسلِم من محبة غير الله معه، ومن خوفه ورجائه والتّوكُّل عليه، والإنابة إليه، والذل له، وإيثار مرضاته في كلّ حال، والتَّباعُد من سخطه بكل طريق.

وهـذا هـو حقيقـة العبوديـة الّتـي لا تصلـح إلاَّ لله – سُبحانه وتعالىٰ – وحده[١].

فالقلب السّليم: هو الّذي سلم من أن يكون لغير الله في شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديّته لله: إرادة، ومحبة، وتوكّلاً، وإنابةً، وإخباتًا، وخشية، ورجاءً.

وخلص عمله لله،فإن أحبّ أحبّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطَىٰ أعطَىٰ لله، وإنْ منعَ منعَ لله.

ولا يكفيه هذا حتَّىٰ يَسْلَمَ هذا حتَّىٰ من الانقياد

---

(١) قال ابن القيم في كتاب «مفتاح دار السعادة» (١ / ٢٠٠): ومتىٰ كان القلب كذلك فهو:

- سليم من الشرك.
- سليم من البدع.
- سليم من الغي.
- سليم من الباطل.

وكل الأقوال التي قيلت في تفسيره، فذلك يتضمنها.

والتّحكيم لِكُلّ من عدا رسول الله – ﷺ – ، فيعقد قلبه معه عقداً محكمًا علىٰ الائتمام والاقتداء به وحده، دون كل أحد في الأقوال والأعمال من: أقوال القلب: وهي: العقائد. وأقوال اللسان، وهي: الخبر عمّا في القلب. وأعمال القلب: وهي الإرادة والمحبّة والكراهة وتوابعها. وأعمال الجوارح.

فيكون الحاكم عليه في ذلك كله،دقّه وجلّه، هو ما جاء به الرّسول – ﷺ – ، فلا يتقدّم بين يديه بعقيدة ولا بقول ولا عمل، كما قال – تعالىٰ –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]. أيْ: لا تقولوا حتَّىٰ يقول، ولا تفعلوا حتَّىٰ يأمر.

قَال بعض السّلف: ما من فِعْلَةٍ – وإن صغرت – إلاّ يُنشر لها ديوانان: لِمَ؟ وكيْفَ؟ أي: لما فعلت؟ وكيف فعلت؟.

الأوّلْ - سُؤال عن علّة الفعل وباعثه وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس أو خوف منهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل، أو الباعث علىٰ الفعل القيام بحق العبودية ، وطلب التقرب إلىٰ الربّ – سُبحانه – وابتغاء الوسيلة إليه.

ومحل السُّؤال: أنّه، هل كان عليك ؛ أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟.

والثّاني - سؤال عن متابعة الرسول – ﷺ – في ذلك التعبد، أي هل كان ذلك العمل مما شرعتُه لك علىٰ لسان رسولي أم ، كان عملاً لم أشرّعه ولم أرْضَه؟.

فالأول سؤال عن الإخلاص، **والثاني** : عن المتابعة.

فـإنّ الله - سُبـحـانه وتعـالىٰ - لا يقـبل عـمـلاً إلاَّ بهما[١].

فطريق التـخلص من السّـؤال الأول: بتـجـريد الإخلاص.

وطريق التخلص من السّـؤال الثّـاني: بتـحـقـيق المتابعة، وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهوى يعارض الاتباع.

فـهـذه حـقـيـقـة القلب الَّذي ضـمنت له النجـاة والسعادة.

الثَّاني - القلب الميت:

والقلب الثّاني: ضد هذا، وهو القلب الميت الَّذي

---

(١) وهذان الشرطان (الإخلاص والمتابعة) هما الشرطان التي لا تُقبل الأعمال إلاَّ بهما، ولو اختل شرط منهما فالعمل مردود علىٰ صاحبه وغير مقبول.

لا حياة به[1]، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذّاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط.

فهو متعبد لغير الله، حبًا، وخوفًا، ورضًا، وسخطًا، وتعظيمًا، وذلاً.

إن أحبّ أحبَّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطىٰ أعطىٰ لهواه، وإن منعَ منعَ لهواه. فهواه آثر عنده وأحبّ إليه من رضا مولاه.

فالهوىٰ إمامه، والشّهوة قائده، والجهل سايسه، والغفلة مركبه.

فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدّنيويَّة معمور،

(١) **لا حياة فيه**: أي أعرض وابتعد عن فعل الخيرات، وغاص وتوغل في الشر والمحرمات حتىٰ أصابه اليأس من قبول الحق والعودة إلىٰ الطاعة.

وبسكرة الهوىٰ وحب العاجلة مغمور. يُنادىٰ إلىٰ الله وإلىٰ الدَّار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد. الدنيا تسخطه وترضيه. والهوىٰ يُصِمُّه عما سوىٰ الباطل. فهو في الدنيا كما قيل في ليلىٰ:

عدو لمن عادت، وسِلْمٌ لأهلها

ومن قرَّبت ليلىٰ أحبّ وأقربا

فمخالطة صاحب هذا القلب سَقَمٌ، ومعاشرته سُمٌّ. ومُجالسته هلاك.

الثالث - القلب المريض:

والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علّة. فله مادتان، تمد هذه مرة، وهذه أخرىٰ، وهو لما غلب عليه منهما؛ ففيه من محبة الله والإيمان به والإخلاص له، والتّوكّل عليه: ما هو مادة لحياته.

وفيه من محبة الشّهوات وإيثارها والحرص علىٰ تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه.

وهو ممتحن من داعيين:

- داعٍ يدعوه إلىٰ الله ورسوله والدَّار الآخرة.
- وداعٍ يدعوه إلىٰ العاجلة.

وهو إنّما يُجيب أقربهما منه بابًا، وأدناهما إليه جوارًا.

فالقلب الأول: حيٌّ مُخبتٌ ليِّن واعٍ.

والثّاني: يابسٌ ميّت.

والثالث: مريض، فإمّا إلىٰ السَّلامة أدنىٰ، وإمّا إلىٰ العطب أدنىٰ.

آية كريمة تجمع القلوب الثلاثة:

وقد جمع الله – سبحانه وتعالىٰ – بين هذه القلوب الثلاثة في قوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) ﴾ [الحج: ٥٢ – ٥٤].

فجعل – سبحانه وتعالىٰ – القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبًا ناجيًا.

فالمفتونان: القلب الَّذي فيه مرض، والقلب القاسي.

والنّاجي: القلب المؤمن المخبت إلىٰ ربّه، وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد.

وذلك: أنَّ القلب وغيره من الأعضاء يراد منه أن يكون صحيحًا سليمًا لا آفة به، يتأتَّىٰ منه ما هُيِّئَ له وخُلِقَ لأجله.

وخروجه عن الاستقامة إما ليُبْسِه وقسَاوته. وعدم التَّأتِّي لما يُراد منه كاليد الشّلاء، واللسان الأخرس، والأنف الأخشم، وذكر العينين، والعين الَّتي لا تُبصر.

وإمّا بمرض وآفة فيه تمنعه من كمال هذه الأفعال ووقوعها علىٰ السَّداد.

فلذلك انقسمت القلوب إلىٰ هذه الثلاثة:

فالقلب الصحيح السّليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوىٰ إدراكه، فهو صحيح الإدراك، تام الانقياد والقبول له.

والقلب الميت القاسي: لا يقبله ولا ينقاد له.

- **والقلب المريض:** إن غلب عليه مرض التحق بالميت القاسي. وإن غلبت عليه صحّته التحق بالسَّليم.

طمأنينة القلب الصحيح وعدم ضرر الشيطان له:

فما يُلْقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ، وفي القلوب من الشُّبه والشكوك: فتنة لهذين القلبين، قوّة للقلب الحي السّليم؛ لأنه يردُّ ذلك ويكرهه ويبغضه، ويعلم أنَّ الحق في خلافه، فيُخبت للحق قلبه ويطمئن وينقاد، ويعلم بطلان ما ألقاه الشّيطان، فيزداد إيمانًا بالحق ومحبة له، وكفراً بالباطل وكراهة له.

ولا يزال القلب المفتون في مِرْية من إلقاء الشيطان.

وأمّا القلب الصحيح السّليم فلا يضره ما يُلقيه الشيطان أبداً.



علامات مرض القلب وصحّته[١]

تعريف مرض القلب:

كل عضو من أعضاء البدن خُلق لفعلٍ خاص، به كمال في حصول ذلك الفعل منه.

❁ **ومرضه**: أن يتعذر عليه الفعل الّذي خُلق له، حتّىٰ لا يصدر منه، أو يصدر مع نوع من الاضطراب.

❁ **فمرض اليد**: أن يتعذر عليها البطش.

❁ **ومرض العين**: أن يتعذر عنها النظر والرؤية.

❁ **ومرض اللسان**: أن يتعذر عليها النطق.

❁ **ومرض البدن**: أن يتعذر عليه حركته الطبيعية أو يضعف عنها.

---

(١) انظر: «طب القلوب» من كلام ابن القيم - رحمه الله - جمع/ صالح الشامي (٤٣ - ٤٥).

ومرض القلب: أن يتعذر عليه ما خُلِقَ له من المعرفة بالله ومحبّته والشّوق إلىٰ لِقائه، والإنابة إليه، وإيثار ذلك علىٰ كل شهوة.

فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنّه لم يعرف شيئًا، ولو نال كل حظ من حظوظ الدُّنيا ولذَّاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبّة الله، والشّوق إليه، والأنس به، فكأنّه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرّة عين، بل إذا كان القلب خاليًا من ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذابًا له ولابُدَّ، فيصير مُعذَّبًا بنفس ما كان منعمًا به من جهتين:

❁ من جهة حسرة فَوْته، وأنّه حيل بينه وبينه، مع شدّة تعلّق روحه به.

❁ ومن جهة فَوْتِ ما هو خير له وأنفع وأدوم، حيث لم يحصل له.

فالمحبوب الحاصل فات، والمحبوب الأعظم لم يظفر به.

وكل من عرف الله أحبه، وأخلص العبادة له ولابُدَّ، ولم يؤثّر عليه شيئًا من المحبوبات.

فمن آثر شيئًا من المحبوبات فقلبه مريض.

كما أنَّ المعدة إذا اعتادت أكل الخبيث وآثرته علىٰ الطّيّب سقط عنها شهوة الطّيّب، وتعوضه بمحبة غيره.

الإحساس بمرض القلب:

وقد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه؛ لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك:

أنه لا تؤلمه جراح القبائح.

ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة.

فإنّ القلب إذا كان فيه حياة تألّم بورود القبيح عليه، وتألّم بجهله بالحق بحسب حياته.

وما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

لابدَّ من الصّبر علىٰ الدّواء:

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها؛ فهو يؤثر بقاء ألمه علىٰ مشقة الدواء، فإنّ دواءه في مخالفة الهوىٰ، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس لها أنفع منه.

وتارة يوطن نفسه علىٰ الصّبر، ثُمَّ ينفسخ عزمه، ولا يستمرّ معه لضعف علمه وبصيرته وصبره: كمن دخل في طريق مخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلىٰ قوة صبره، وقوّة يقين ما يصير إليه، ومتىٰ ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق، ولم يتحمل مشقتها، ولا سيما أنْ عدم الرفيق واستوحش من الوحدة، وجعل يقول: أين ذهب الناس؟. فلي أسوة بهم.

وهذا حال أكثر الخلق، وهي الّتي أهلكتهم.

علامات أمراض القلب:

والمقصود: أنّ علامات أمراض القلوب:

عدولها عن الأغذية النافعة الموافقة لها إلىٰ الأغذية الضارة، وعدولها عن دوائها النّافع إلىٰ دائها الضّار.

فمنها أربعة أمور:

- غذاء نافع.
- ودواء شاف.
- وغذاء ضار.
- ودواء مهلك.

علامات صحة القلب:

والقلب الصحيح: يؤثر النافع الشافي علىٰ الضّار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن. وكل منها فيه الغذاء والدواء.

ومن علامات صحّته - أيضًا -: أن يرتحل عن الدنيا حتىٰ ينزل بالآخرة[(١)]، ويحل فيه، حتىٰ يبقىٰ كأنه من أهلها وأبنائها، وقد جاء هذه الدار غريبًا يأخذ منها حاجته، ويعود إلىٰ وطنه، كما قال النّبيُّ - ﷺ - لعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : **«كُنْ في الدُّنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسك من أهل القبور»**[(٢)].

فحيَّ علىٰ جنات عدنٍ فإنها
منازلك الأولىٰ وفيها المُخَيَّمُ
ولكننا سَبْيِ العدو، فهل ترىٰ
نعودُ إلىٰ أوطاننا ونسلم؟

وقَال عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -: إنّ الدُّنيا قد

---

(١) وكم من النّاس قد ارتحل عن الآخرة بالدُّنيا، وانهمك في لذّاتها وشهواتها، فأمرض قلبه بالبعد عن دين الله وبالانغماس في المتاع القليل الفاني.. «الدُّنيا»، وقد بيّنت هذا في رسالة «الدُّنيا أهلكتني».

(٢) أخرجه البخاريّ (٦٤١٦)، والفقرة الأخيرة عند الترمذي (٢٣٣٣).

ترحلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

كلما صحّ القلب من مرضه ترحل إلىٰ الآخرة وقرب منها، حتىٰ يصير من أهلها، وكُلّما مرض القلب واعتلّ آثر الدُّنيا واستوطنها، حتَّىٰ يصير من أهلها.

ومن علامات صحّة القلب: أنّه لا يزال يضرب علىٰ صاحبه حتَّىٰ يُنيب إلىٰ الله - تعالىٰ - ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلىٰ محبوبه، الّذي لا حياة له، ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلاّ برضاه وقربه والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإيّاه يرجو، وله يخاف.

فذكره قوته، وغذاؤه ومحبته، والشوق إليه حياته

ونعيمه ولذته وسروره، والالتفاف إلىٰ غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه.

✿ فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به، وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة.

✿ فإنّ في القلب فاقة لا يسدها شيء سوىٰ الله أبداً.

✿ وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه.

✿ وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له،وعبادته وحده.

فهو دائماً يضرب علىٰ صاحبه حتىٰ يسكن ويطمئن إلىٰ إلهه ومعبوده، فحينئذٍ يُباشر روح الحياة، ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرىٰ غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الّذي له خُلِقَ الخلق، ولأجله خُلقت الجنة والنار، وله أُرسلت الرسل ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلاّ نفس وجوده لكفىٰ به جزاء، وكفىٰ بفوته حسرة وعقوبة، كما قيل:

وَمَنْ صَدَّ عَنَّا حَظُّهُ الْبُعْدُ وَالقِلَىٰ
وَمَنْ فُتُّهُ يَكْفِيهِ أَنِّي أَفُوتُهُ

قَالَ بعض العارفين: مساكين أهل الدُّنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟، قَال: محبة الله والأنس به والشوق إلىٰ لقائه، والتَّنَعُّمُ بذكره وطاعته.

وقال آخر: إنه ليمُرُّ بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: والله ما طابت الدنيا إلاّ بمحبته وطاعته، ولا الجنة إلاّ برؤيته ومشاهدته.

وقال أبو الحسين الورّاق: حياة القلب في ذكر الحي الّذي لا يموت، والعيش الهني: الحياة مع الله - تعالىٰ - لا غير.

ولهذا كان الفوت عند العارفين بالله أشد عليهم من

الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق، فكم بين الانقطاعين؟.

وقال آخر: من قرّت عينه بالله - تعالىٰ - قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تقطع قلبه علىٰ الدنيا حسرات.

وقال يحيىٰ بن معاذ: من سر بخدمة الله سُرّت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرّت عينه بالله قرّت عيون كل أحد بالنظر إليه.

ومن علامات صحّة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره؛ إلاَّ بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

ومن علامات صحّة القلب: أنّه إذا فاته ورده وجدَ لفواتها ألمًا أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

ومن علامات صحة القلب: أنّه يشتاق إلىٰ الخدمة، كما يشتاق الجائع إلىٰ الطّعام والشراب.

ومن علامات صحة القلب: أنه إذا دخل في الصّلاة ذهب عنه همّه وغمه بالدنيا، واشتدّ عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه وسرور قلبه.

ومن علامات صحة القلب: أن يكون همّه واحداً، وأن يكون في الله.

ومن علامات صحة القلب: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا من أشدّ الناس شحًا بماله ومنعًا.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص علىٰ الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك مِنَّة الله فيه وتقصيره في حق الله.

فهذه ست مشاهد لا يشهدها إلاّ القلب الحي السّليم.

خلاصة القول في القلب الصحيح:

وبالجُملة فالقلب الصّحيح: هو الّذي هَمُّه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهىٰ إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم علىٰ مراضيه ومحابِّه.



مفسدات القلب وأسباب أمراضه

قال الإمام الحافظ ابن القيم [(١)] - رحمه الله -:

وأما مفسدات القلب خمسة فهي:

- كثرة الخلطة.
- التمنّي.
- التّعلّق بغير الله – عزّ وجلّ –.
- الشّبع.
- كثرة النّوم.

فهذه الخمسة من أكبر مفسدات القلب، فنذكر آثارها الّتي اشتركت فيها، وما تميّز به كل واحد منها.

اعلم أنّ القلب يسير إلىٰ الله – عزّ وجلّ –، والدّار الآخرة، ويكشف عن طريق الحق ونهجه، وآفات النفس

(١) انظر: «مدارج السّالكين» (١/٣٤٩ – ٣٥٤).

والعمل، وقطاع الطريق، بنوره وحياته وقوته، وصحته وعزمه، وسلامة سمعه وبصره، وغيبة الشواغل والقواطع عنه.

وهذه الخمسة تطفئ نوره، وتعور عين بصيرته، وتثقل سمعه، إن لم تَصُمه وتُبكمَه وتُضعف قواه كلها، وتوهن صحّته وتُفتّر عزيمته، وتوقف همّته، وتُنكسه إلىٰ ورائه. ومن لا شعور له بهذا فميت القلب، وما لجرح بميت إيلام، فهي عائقة له عن نيل كماله، قاطعة له عن الوصول إلىٰ ما خُلق له، وجعل نعيمه وسعادته وابتهاجه ولذّته في الوصول إليه؛ فإنّه لا نعيم له ولا لذة، ولا ابتهاج، ولا كمال إلاّ بمعرفة الله ومحبّته، والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلىٰ لقائه. فهذه جنته العاجلة، كما أنه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلاّ بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة، فله جنّتان، لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخل الأولىٰ.

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية - قدّس الله روحه- يقول: إنّ في الدنيا جنّة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وقال بعض العارفين: إنه لتَمُرُّ بالقلب أوقات. أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنّهم لفي عيش طيب.

وقال بعض المحبّين: مساكين أهل الدُّنيا خرجوا من الدُّنيا وماذاقوا أطيب ما فيها،قالوا:وما أطيب ما فيها؟ ، قال: محبة الله، والأنس به، والشّوق إلىٰ لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عمّا سواه - أو نحو هذا الكلام.

وكل من له قلب حيّ يسهد هذا ويعرفه ذوقًا.

وهذه الأشياء الخمسة: قاطعة عن هذا، حائلة بين القلب وبينه، عائقة له عن سيره، ومحدثة له أمراضًا وعللاً، إن لم يتداركها المريض خيف عليه منها.

المفسد الأول - كثرة الخلطة:

فأمّا ما تُؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتىٰ يسودَّ، ويوجب له تشتتًا وتفرقًا، وهمًا وغمًا، وضعفًا، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السّوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتَقَسُّم فكره في أودية مطالبهم وإرادتهم. فماذا يبقىٰ منه لله والدّار الآخرة؟.

هذا، وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة؟ وأنزلت من محنة، وعطلة من منحة، وأحلت من رزية، ووقعت في بلية؟ وهل آفة الناس إلاّ الناس؟ وهل كان علىٰ أبي طالب – عند الوفاة – أضرّ من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتىٰ حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له السّعادة الأبد.

وهذه الخلطة الّتي تكون علىٰ نوع مودة في الدنيا، وقضى وطر بعضهم من بعض، تنقلب إذا حقَّت الحقائق عداوة، ويعض المخلط عليها يديه ندمًا.

كما قال - تعالىٰ -: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وقال - تعالىٰ - : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقال خليله إبراهيم - عليه السلام - لقومه: ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وهذا شأن كل مشتركين في غرض، يتوادون ماداموا متساعدين علىٰ حصوله، فإذا انقطع ذلك الغرض، أعقب ندامة وحزنًا وألمًا، وانقلبت تلك المودة بغضًا ولعنة، وذمًا من بعضهم لبعض، لما انقلب ذلك الغرض

حزنًا وعذابًا، كما يشاهد في هذه الدار من أحوال المشتركين في خزيه، إذا أُخذوا وعوقبوا، فكل متساعدين علىٰ باطل، متوادِّين عليه لابُدَّ أن تنقلب بغضًا وعداوة.

والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير - كالجمعة والجماعة، والأعياد، والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة - ويعتزلهم في الشّر، وفضول المباحات ، فإن دعت الحاجة إلىٰ خلطتهم في الشرّ، ولم يمكنه اعتزالهم فالحذَر الحذَر أن يوافقهم، وليصبر علىٰ أذاهم، فإنّهم لابُدَّ أن يؤذوه إن لم يكن له قوّة ولا ناصر، ولكن أذىً يعقبه عزٌّ ومحبّة له وتعظيم، وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين.

فالصبر علىٰ أذاهم خير وأحسن عاقبة، وأحمد مآلاً، وإن دعت الحاجة إلىٰ خلطتهم في فضول المباحات، فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه،

ويشجع نفسه ويقوّي قلبه، ولا يلتفت إلىٰ الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك، بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك... ونحو ذلك، فليحاربه وليستعين بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك، فَلْيُسِلَّ قلبه من بينهم كَسَلِّ الشّعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائبًا، قريبًا بعيداً، نائمًا يقظانًا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقىٰ به إلىٰ الملأ الأعلىٰ، يُسَبِّح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكيّة.

وما أصعب هذا وأشقّه علىٰ النُّفوس، وإنّه ليسير علىٰ من يسّره الله عليه، فبين العبد وبينه أن يصدُق الله – تبارك وتعالىٰ –، ويُديم اللجأ إليه، ويلقي نفسه علىٰ بابه طريحًا ذليلاً، ولا يُعين علىٰ هذا إلاّ محبة صادقة، والذكر الدائم بالقلب واللسان، وتجنب المفسدات الأربع

الباقية الآتي ذكرها، ولا ينال هذا إلاّ بعدة صالحة ومادة قوةٍ من الله – عزّ وجلّ – وعزيمة صادقة، وفراغ من التعلق بغير الله. والله ـ تعالىٰ ـ أعلم.

المفسد الثاني - التمني:

والمفسد الثاني من مفسدات القلب ركوبُه بحر التمنّي، وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الّذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل: إنّ المنىٰ رأسُ أموالِ المفاليس، وبضاعة راكبه مواعيد الشيطان، وخيالات المحال والبهتان، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة، والخيالات الباطلة تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية، ليست لها همّة تنال بها الحقائق الخارجية، بل اعتاضت عنها بالأماني الذهنية. وكُلٌّ بحسب حاله: من متمنّ للقدرة والسلطان، وللضرب في الأرض والتطواف في البلدان،

أو للأموال والأثمان، أو للنسوان والمردان، فيمثل المتمني صورة مطلوبة في نفسه وقد فاز بوصولها، والتذّ بالظفر بها، فبينا هو علىٰ هذه الحال، إذا استيقظ فإذا يده والحصير، وصاحب الهمّة العليّة، أمانيه حائمة حول العالم والإيمان، والعمل الّذي يقربه إلىٰ الله، ويُدنيه من جواره، فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خدع وغرور.

وقد مدح النّبيُّ - ﷺ - مُتمنّي الخير، وربّما جعل أجره في بعض الأشياء كأجر فاعله، كالقائل: لو أنّ لي مالاً لعملت بعمل فلان الّذي يتقّي في ماله ربّه، ويصل فيه رحمه، ويخرج منه حقه. وقال: «**هما في الأجر سواء**»، وتمنّىٰ - ﷺ - في حجة الوداع: أنّه لو كان تمتع وحَلَّ ولم يُسِق الهدي، وكان قد قرن، فأعطاه الله ثواب القرآن بفعل، وثواب التّمتُّع الّذي تمنّاه بأُمنيته، فجُمع له بين الأجرين.

المفسد الثالث - التّعلُّق بغير الله - تعالىٰ -:

والمفسد الثالث من مُفسدات القلب التّعلق بغير الله - تبارك وتعالىٰ - وهذا أعظم مفسداته علىٰ الإطلاق، فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإنّه إذا تعلّق بغير الله وكله الله إلىٰ ما تعلّق به، وجذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله - عزّ وجلّ - بتعلّقه بغيره، والتفاته إلىٰ سواه، فلا علىٰ نصيبه من الله حصل، ولا إلىٰ ما أمله ممن تعلق به وصل.

قال الله - تعالىٰ -: ﴿ واتَّخَذُوا من دُون الله آلهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) ﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، وقال - تعالىٰ -: ﴿ واتَّخَذُوا من دُون الله آلهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥) ﴾.

[يس: ٧٤، ٧٥].

فأعظم الناس خذلانًا من تعلّق بغير الله، فإنّ ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه، أعظم مما حصل له ممن تعلق به، ومعرَّض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله: كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، أوهن البيوت.

وبالجملة: فأساس الشرك وقاعدته الّتي بُني عليها التّعلّق بغير الله، ولصاحبه الذمّ والخذلان، كما قال - تعالىٰ -: ﴿ **لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً** (٢٢) ﴾ [الإسراء: ٢٢].

مذمومًا لا حامد لك، مخذولاً لا ناصر لك، إذْ قد يكون بعض الناس مقهوراً محموداً كالّذي قهر بباطل، وقد يكون مذمومًا منصوراً، كالّذي قهر وتسلّط عليه بباطل، وقد يكون محموداً منصوراً كالّذي تمكن وملك بحقّ. والمشرك المتعلق بغير الله قسمه أردأ الأقسام الأربعة، لا محمود ولا منصور.

المفسد الرابع - الشبع:

والمفسد له من ذلك نوعان:

أحدهما - ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات، وهي نوعان: محرمات لحق الله، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، وذي الناب من السباع والمخلب من الطّير.

ومحرمات لحق العباد، كالمسروق والمغصوب والمنهوب، وما أُخذ بغير رضىٰ صاحبه، إمّا قهراً وإمّا حياء وتذمماً.

والثّاني-ما يفسده بقدره :وتعدي حدّه، كالإسراف في الحلال، والشبع المفرط، فإنّه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها، حتّىٰ يظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها، والتأذي بثقلها، وقوىٰ عليه مواد الشهوة، وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنّه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فالصّوم

يضيّق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشّبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً، فنام كثيراً، فخسر كثيراً، وفي الحديث المشهور: «**ما ملأ آدميّ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابُدَّ فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه**»[١].

ويُحكَىٰ أنَّ إبليس – لعنه الله – عرض ليحيىٰ بن زكريا – عليهما الصلاة والسلام – فقال له يحيىٰ: هل نلت منِّي شيئًا قط؟ قال: لا. إلاَّ أنَّهُ قُدِّم إليك الطعام ليلة فشهَّيته إليك حتَّىٰ شبعت منه، فنمتَ عن وردك. فقال يحيىٰ - عليه السلام -: لله عليَّ أنْ لا أشبع من طعام أبداً. فقال إبليس: وأنا، لله عليَّ أن لا أنصح آدميًا أبداً.

---

(١) أخرجه الترمذيّ (٢٣٨٠)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، وصحّحه العلاّمة الألبانيّ – رحمه الله – في «السّلسلة الصّحيحة» (٢٢٦٥)، من حديث المقدام بن معدي بن يكرب – رضي الله عنه – .

المفسد الخامس - كثرة النوم:

فإنه يُميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل، ومنه المكروه جداً، ومنه الضّار غير النافع للبدن.

وأنفع النوم: ما كان عند شدّة الحاجة إليه، ونوم أول الليل أحمد وأنفع من نوم آخره، ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه، وكلّما قرب النّوم من الطّرفين قلّ نفعه، وكثر ضرره، ولاسيّما نوم العصر، والنوم أول النّهار إلاّ لسهران.

ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير ذلك الوقت عند السّالكين فرية عظيمة، حتّىٰ لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السّير ذلك الوقت حتّىٰ تطلع الشّمس.

فإنّه أوّل النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة ، ومنه ينشأ النهار،

وينسحب حكم جميعه علىٰ حكم تلك الحصة؛ فينبغي أن يكون نومها كنوم المضطر.

وبالجملة: فأعدل النّوم وأنفعه: نوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمان ساعات، وهذا أعدل النوم عند الأطباء، ومازاد عليه أو نقص منه أثر عندهم في الطبيعة انحرافًا بحسبه.

ومن النوم الذي لا ينفع - أيضًا -: النّوم أوّل الليل، عقيب غروب الشمس، حتّىٰ تذهب فحمة العشاء، وكان رسول الله - ﷺ - يكرهه، فهو مكروه شرعًا وطبعًا.

وكما أن كثرة النوم مورثة لهذه الآفات، فمدافعته وهجره مورث لآفات أخرىٰ عظام: من سوء المزاج ويُبسه، وانحراف النفس، وجفاف الرطوبات المعينة علىٰ الفهم والعمل، ويورث أمراضًا متلفة لا ينتفع صاحبها

بقلبه ولا بدنه معها، وما قام الوجود إلاَّ بالعدل، فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير. وبالله المستعان.

وقال شيخنا فيصل الحاشدي[١] - حفظه الله - وهو يتحدث عن أمراض القلوب -:

«ولا أعني أمراض القلوب البدنية، وإنّما أعني تِلْكُمُ الأمراض الّتي تعتري القلب مما يتعلق بدينه، فهي أعظم الأمراض فتكًا علىٰ الإطلاق، وأشدُّا تدميرًا، وأسوأها أثرًا، بل ليس هنا مقارنة علىٰ الإطلاق بين مرضٍ بدنيّ يعتري القلب، ويحتاج إلىٰ بعض الأدوية والمسكّنات، وبين مرضٍ يجرح دينه، ويُذهب تقواه، فالأخيرُ يجلبُ علىٰ العبد نكداً وهمًّا وغمًا، وعذابًا في الدُّنيا والآخرة، أمّا الأول فقد يُثابُ عليه العبد المؤمن، إذا صبر واحتسب، كسائر الأمراض الّتي يُثاب عليها المؤمن».

(١) انظر: «الصحيح من الأثر في خطب المنبر» (ص٤٦٣ – ٤٧٥)، وكما وأنّ له مؤلف شيّق أسماه «طريقنا إلىٰ القلوب» بيّن فيه كل ما يحتاج إليه من أراد الوصول إلىٰ قلوب الآخرين.

ثمَّ ذكر أسباب فساد القلوب ومرضها فيما يلي:

[١] فمن أمراض القلوب مرض الشرك:

فهو سبب كل شرٍّ ، يتّجه إلىٰ القلب . قال الله – سُبحانه وتعالىٰ –: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) ﴾ [الأعراف: ١٠١].

[٢] ومن أمراض القلوب الرياء:

قال اللهُ – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) ﴾ [النساء: ٣٨].

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**قال الله - تعالىٰ -: أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

[٣] ومن أمراض القلوب الكبر والعجب:

قال الله - سُبحانه وتعالىٰ -: ﴿**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِين** (٢٣)﴾ [النحل: ٢٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** (١٨)﴾ [لقمان: ١٨].

[٤] ومن أمراض القلوب مرض الشبهة والشك والريبة:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾.

[آل عمران: ٧].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

[٥] ومن أمراض القلوب كثرة الذنوب:

قال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤].

ففي «مسند أحمد» و«سنن الترمذي» بسند صحيح، صحّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**إنَّ المؤمن إذا أذنب، كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل منها، وإن زاد زادت، حتَّىٰ يغلف قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾**».

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٧)، والترمذيّ في جامعه (٣٣٣١)، وصحّحه العلاّمة الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٣٤١)، والألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤١).

[٦] ومن أمراض القلوب سوء الظن با$، بل من أعظم أمراض القلوب:

فمن الناس من يُسيئُ الظنَّ بوعد الله، ونصره لعباده المؤمنين.

قال الله – سُبحانه وتعالىٰ –: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [فصلت: ٢٣].

وقال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) ﴾ [الأحزاب: ١٠].

[٧] ومن أمراض القلوب سماع الأغاني:

قال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) ﴾ [لقمان: ٦].

رویٰ ابنُ جريرٍ بسندٍ صحيح، صحّحه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطَّرَب»[١] عن أبي الصَّهباء البكريِّ أنَّهُ سأل ابن مسعود عن قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: «الغناء».

[٨] ومن أمراض القلوب تركُ صلاة الجمعة:

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة -رضي الله عنهم- أنهما سمعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول علىٰ أعواد منبره: «**لينتهينّ أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله علىٰ قلوبهم، ثُمَّ ليكونن من الغافلين**».

[٩] ومن أمراض القلوب كتمان شهادة الحق:

قال الله - سُبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٥)، وصحّحه الألبانيُّ في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٨٦٥).

[١٠] ومن أمراض القلوب الحسد:

وهو: اختلاف القلب علىٰ الناس، وتمنِّي زوال النعمة عن مستحقِّها، فهو مرضٌ خطيرٌ من أمراض القلوب، قال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النساء: ٥٤].

ونظرًا لخطورة الحسد؛ فقد أمرنا الله بالتعوُّذ منه صباح مساء ﴿ **وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ [الفلق: ٥].

والإيمان والحسد لا يجتمعان في قلب عبدٍ مؤمنٍ، يرجو الله والدّار الآخرة؛ لأن الحسد – كأنه بحَسَده – يعترضُ علىٰ الله في قضائه، ويحسد علىٰ ما منح من عطائه، وكأنه بحسده هذا يقول: فُلان أُعطي وهو لا يستحق.

ففي « سنن النسائي » بسند حسنٍ، حسَّنهُ الألباني في « صحيح سنن النّسائيّ » [١]، من حديث أبي هريرة

---

(١) رواه النسائي (٢٩١٢)، وحسّنه الألبانيُّ في « صحيح النّسائي » (٢/٦٥٢).

- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **«لا يجتمعان في قلب عبدٍ: الإيمان والحسد»**.

[١١] ومن أمراض القلوب الحقد، وهو مرضٌ عضالٌ من أمراض القلب؛

فعلينا أن نطهر قلوبنا من الحقد والحسد، وسائر أمراض القلوب، حرصًا علىٰ سلامتها.

أخرج المنذري في «الترغيب والترهيب» بسندٍ صحيح لغيره، قالهُ الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[١] من حديث أبي ثعلبة - رضي الله عنه - أنّ النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال: **«يطّلعُ الله إلىٰ عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين، ويُمهل الكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتّىٰ يدعوه»**.

---

(١) رواه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣ / ٤٦١)، وقال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٧١): صحيح لغيره.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «**تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبدٍ لا يُشرك بالله شيئًا، إلاَّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال: أنظروا هذين حتَّىٰ يصطلحا، أنظروا هذين حتَّىٰ يصطلحا، أنظروا هذين حتَّىٰ يصطلحا**».



(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

المعاصي تمرض القلوب

قال الإمام ابن القيم [١] - رحمه الله - :

«**ومن عقوبة المعصية:** أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلىٰ مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضًا معلولاً لا ينتفع بالأغذية الّتي بها حياته وصلاحه، فإنّ تأثير الذنوب أمراض القلوب وداؤها، ولا دواء لها إلاّ تركها، وقد أجمع السّائرون إلىٰ الله أن القلوب لا تعطي مناها حتَّىٰ تصل إلىٰ مولاها، ولا تصل إلىٰ مولاها حتَّىٰ تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتَّىٰ ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها، ولا يصح لها ذلك إلاّ بمخالفة هواها، فهواها مرضها، وشفاها مخالفته، فإن استحكم المرض قتل أوكاد.

وكما أنّ من نهىٰ نفسه عن الهوىٰ كانت الجنة مأواه وكذا يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة، لا يشبه

(١) انظر : «الداء والدواء» (ص: ١٠٠ - ١٠١).

نعيم أهلها نعيماً البتة، بل التّفاوت الّذي بين النعيمين، كالتّفاوت الّذي بين نعيم الدُّنيا والآخرة، وهذا أمر لا يصدق به إلاَّ من باشر قلبه هذا وهذا.

ولا تحسب أن قوله – تعالىٰ –: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)** ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤].

مقصور علىٰ نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة هم كذلك – أعني دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار – فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلاَّ نعيم القلب؟ وهل العذاب إلاَّ عذاب القلب،وأيُّ عذاب أشد من الخوف والهم والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله، بكل واد منه شعبة؟ وكل من تعلق به وأحبه من دون الله فإنّه يسومه سوء العذاب.

فكل من أحب شيئًا غير الله عُذّب به ثلاث مرات في هذه الدار، فهو يعذّب به قبل حصوله حتّىٰ يحصل، فإذا حصل عُذّب به حال حصوله بالخوف في سلبه

وفواته، والتنغيص والتنكير عليه، وأنواع من العذاب في هذه المعارضات، فإذا سلبه اشتد عليه عذابه، فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار.

وأما في البرزخ: فعذاب يقارنه ألم الفراق الّذي لا يرجو عوده، وألم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده، وألم الحجاب عن الله، وألم الحسرة الّتي تقطع الأكباد، فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما يعمل الهوام والديدان في أبدانهم، بل عملها في النفوس دائم مستمر، حتَّىٰ يردها الله أجسادها، فحينئذ ينتقل العذاب إلىٰ نوع هو أدهى وأمرّ، فأين هذا من نعيم من يرقص قلبه طربًا وفرحًا وأنسًا بربه، واشتياقًا إليه، وارتياحًا بحبه، وطمأنينة بذكره؟ حتَّىٰ يقول بعضهم في حال نزعه ، واطرباه.

ويقول الآخر: إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب.

ويقول الآخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها

وما ذاقوا لذة العيش فيها، وما ذاقوا أطيب ما فيها.

ويقول الآخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

ويقول الآخر: إنّ في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

فيا من باع حظّه الغالي بأبخس الثمن، وغبن كل الغبن في هذا العقد، وهو يرى أنّه قد غبن، إذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فسل المقوِّمين.

فيا عجبًا من بضاعة معك الله مشتريها، وثمنها جنة المأوىٰ، والسفير الذي جرىٰ علىٰ يديه عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول - ﷺ -، وقد بعتها بغاية الهوان، كما قال القائل:

إذا كان هذا فعل عبد بنفسه
فمن ذا له من بعد ذلك يكرم

﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(١٨) ﴾ [الحج:١٨].

تأثير المعصية على القلب

قال الإمام ابن القيم [1] **- رحمه الله تعالى -:**

«الذنوب إذا تكاثرت طُبع علىٰ قلب صاحبها، فكان من الغافلين، كما قَال بعض السلف في قوله - تعالىٰ -: ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٤].

قال: هو الذنب بعد الذنب. وقال الحسن: هو الذنب علىٰ الذنب، حتّىٰ يعمىٰ القلب. وقال غيره: لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم.

وأصل هذا أنّ القلب يصدأ من المعصية، فإذا زاد غلب الصدأ حتّىٰ يصير رانًا، ثُمَّ يغلب حتّىٰ يصير طبعًا وقفلاً وختمًا، فيصير القلب في غشوة وغلاف، فإذا

---

(١) انظر: «الداء والدواء» (ص٨٠).

حصل له ذلك بعد الهدىٰ والبصيرة انتكس ، فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاّه عدوه ويسوقه حيث أراد » .

فهذه هي آثار الذنوب والمعاصي والاستمرار عليها، وعدم الاستغفار والتوبة إلىٰ الله – عزّ وجلّ – تُردي بالقلب حتَّىٰ يُغلَّف عن الحق وأهله، فلا يعرف المعروف بعد ذلك، ولا يُنكر المنكر ، كما ذكر النَّبيُّ – ﷺ –: **«إنّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت، حتَّىٰ يغلف قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه:** ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾ » [1] .



(١) تقدّم تخريجه.

من عقوبة المعاصي

«الختم على القلب – خسف القلب – مسخ القلب – نكس القلب – حجب القلب عن الرب – المعيشة الضنك»

قال الإمام الحافظ ابن القيّم [(١)] – رحمه الله –:

فاستحضر بعض العقوبات التي رتّبها الله – سبحانه وتعالىٰ – علىٰ الذنوب وجواز وصول بعضها إليك، واجعل ذلك داعيًا للنفس إلىٰ هجرانها، وأنا أسوق لك منها طرفًا يكفي العاقل مع التصديق ببعضه.

[١] الختم على القلب:

فمنها: الختم علىٰ القلوب والأسماع، والغشاوة علىٰ الأبصار، والإقفال علىٰ القلوب، وجعل الأكنة عليها، والرين عليها والطبع، وتقليب الأفئدة والأبصار،

---

(١) انظر : «الداء والدواء» (ص١٤٧ – ١٥٠).

والحيلولة بين المرء وقلبه، وإغفال القلب عن ذكر الرب، وإنساء الإنسان نفسه، وترك إرادة الله تطهير القلب، وجعل الصدر ضيقًا حرجًا كأنّما يصّعّد في السّماء، وصرف القلوب عن الحق، وزيادتها مرضًا علىٰ مرضها، وإركاسها وإنكاسها، بحيث تبقىٰ منكوسة [١] .

❁ **ومنها** : التثبيط عن الطاعة، والإقعاد عنها .

❁ **ومنها** : جعل القلب أصمّ لا يسمع،أبكم لا ينطق به، أعمىٰ لا يراه، فتصير النسبة بين القلب وبين الحق الّذي لا ينفعه غيره، كالنسبة بين أذن الأصم والأصوات، وعين الأعمىٰ والألوان، ولسان الأخرس والكلام، وبهذا يعلم أن العمىٰ والصمم والبكم للقلب بالذات والحقيقة، وللجوار بالعرض والتبعية .

﴿ **فإنَّها لا تَعْمَى الأَبْصارُ ولَكِن تعْمَى الْقُلُوبُ الَّتي في الصُّدُورِ (٤٦)** ﴾[الحج : ٤٦] .

(١) ذكر ابن القيّم حديثًا ضعيفًا ، وقد حذفته ولم أذكره .

وليس المراد نفي العمىٰ الحسّي عن البصر، كيف وقد قال – تعالىٰ –: ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١]، وقال: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ (٢) ﴾ [عبس: ١، ٢]، وإنّما المراد العمىٰ التّام في الحقيقة عمىٰ القلب، حتّىٰ إن عمىٰ البصر بالنسبة إليه كالأعمىٰ، حتّىٰ إنّه يصح نفيه بالنسبة إلىٰ كماله وقوّته، كما قال النّبيُّ – ﷺ –: «**ليس الشّديد بالصرعة، ولكنّه الّذي يملك نفسه عند الغضب**»[(١)].

وقوله – ﷺ – «**ليس المسكين بالطّوّاف الّذي ترده اللقمة واللقمتان، ولكن المسكين الّذي لا يسأل النّاس، ولا يُفطن له فيُتصدّق عليه**»[(٢)].

والمقصود: أنّ من عقوبة المعاصي جعل القلب أعمىٰ أصم أبكم.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

(٢) أخرجه البخاريُّ (٤٢٦٥)، ومسلم (١٠٣٩)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

[٢] خسف القلب:

✿ **ومنها**: الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه، فيخسف به إلىٰ أسفل السّافلين، وصاحبه لا يشعر، وعلامة الخسف به أنّه لا يزال جوّالاً حول السفليّات والقاذورات والرذائل، كما أنّ القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوّالاً حول العرش.

✿ **ومنها**: البعد عن البر والخير ومعالي الأعمال والأقوال والأخلاق.

إنّ هذه القلوب جوّالة، فمنها ما يجول حول العرش، ومنها ما يجول حول الحُش.

[٣] مسخ القلوب:

✿ **ومنها**: مسخ القلب، فيُمسخ كما تُمسخ الصورة، فيصير القلب علىٰ قلب الحيوان الّذي شابهه في أخلاقه وأعماله وطبيعته، فمن القلوب ما يُمسخ

علىٰ قلب خنزير لشدة شبه صاحبه به، ومنها ما يُمسخ علىٰ خلق قلب كلب أو حمار أو حيّة أو عقرب وغير ذلك، وهذا تأويل سفيان بن عيينة في قوله – تعالىٰ –: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال: منهم من يكون علىٰ أخلاق السّباع العاديّة، ومنهم من يكون علىٰ أخلاق الكلاب وأخلاق الخنازير وأخلاق الحمير، ومنهم من يتطوّس في ثيابه كما يتطوّس الطاووس في ريشه، ومنهم من يكون بليداً كالحمار، ومنهم من يؤثر علىٰ نفسه كالدّيك، ومنهم من يألف ويُؤلف كالحمام، ومنهم الحقود كالجمل، ومنهم من هو خيرٌ كله كالغنم، ومنهم أشباه الثعالب الّتي تروغ كروغانها، وقد شبّه الله ـ تعالىٰ ـ أهل الجحيم والغي بالحمر تارة، وبالكلب تارة، وبالأنعام تارة.

وتقوىٰ هذه المشابهة باطنًا حتَّىٰ تظهر في الصورة الظاهرة ظهوراً خفيًا، يراه المتفرّسون، وتظهر الأعمال ظهوراً يراه كل أحد ولا يزال يقوىٰ حتَّىٰ تستشنع الصورة، فتنقلب له الصورة - بإذن الله -، وهو المسخ التام، فيقلب الله - سُبحانه وتعالىٰ - الصورة الظاهرة علىٰ صورة ذلك الحيوان، كما فعل باليهود وأشباههم، يفعل بقوم من هذه الأمة يمسخهم قردة وخنازير.

فسبحان الله ! كم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر؟ ، وقلب ممسوخ، وقلب مخسوف به؟ وكم من مفتون بثناء الناس عليه؟ ، وكل هذه عقوبة وإهانات، ويظن الجاهل أنّها كرامة.

❁ **ومنها**: مكر الله بالماكر، ومخادعته للمخادع، واستهزاؤه بالمستهزئ، وإزاغته للقلب الزائغ عن الحق.

[٤] نكس القلب:

ومنها: نكس القلب حتَّىٰ يرىٰ الباطل حقًا، والحق باطلاً، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، ويفسد ويرىٰ أنّه يصلح، ويصد عن سبيل الله وهو يرىٰ أنّه يدعو إليها، ويشتري الضّلالة بالهدىٰ، وهو يرىٰ أنه علىٰ الهدىٰ، ويتّبع هواه وهو يزعم أنّه مطيع لمولاه؟ وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية علىٰ القلب.

[٥] حجب القلب عن الرب:

ومنه: حجاب القلب عن الرب في الدُّنيا، والحجاب الأكبر يوم القيامة، كما قال - تعالىٰ -: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾ [المطفّفين: ١٤، ١٥].

فمنعتهم الذنوب أن يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم، فيصلوا إليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما

يفسدها ويشقيها، وأن يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم، فتصل القلوب إليه فتفوز بقربه وكرامته، وتُقَرَّ به عينًا ، وتطيب به نفسًا، بل كانت الذنوب حجابًا بينهم وبين ربهم وخالقهم.

[٦] المعيشة الضنك:

❁ **ومنها** : المعيشة الضنك في الدُّنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة، قال – تعالىٰ –: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ(١٢٤)** ﴾ [طه: ١٢٤].

وفسّرت المعيشة الضّنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإنّ عمومها من حيث المعنىٰ، فإنه - سبحانه - رتّب المعيشة الضّنك عن الإعراض عن ذكره ، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة

بحسب إعراضه،وإن تنعّم في الدُّنيا بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات الّتي تقطع القلوب والأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنّما يواريه عنه سكرات الشهوات والعشق وحب الدُّنيا والرّياسة، وإن لم ينضم إلىٰ ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنّه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوىٰ وحب الدُّنيا لا يصحو صاحبه إلاّ إذا كان صاحبه في عسكر الأموات، فالمعيشة الضّنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الّذي أنزله علىٰ رسوله – ﷺ – في دُنياه وفي البرزخ ويوم المعاده، ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلاّ بإلاهها ومعبودها الّذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرَّتْ عينه بالله قرَّتْ به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تقطّعت نفسه علىٰ الدُّنيا حسرات، والله – تعالىٰ – إنّما جعل الحياة الطّيّبة لمن آمن به، وعمل صالحًا، كما قال – تعالىٰ –:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النّحل: ٩٧]، فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدُّنيا بالحياة الطَّيِّبة والحسنَىٰ يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين، فهم أحياء في الدّارين.

ونظير هذا قوله - تعالىٰ -: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) ﴾ [النّحل: ٣٠]، ونظيرها قوله - تعالىٰ -: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) ﴾ [هود: ٣].

ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدُّنيا والآخرة، وحصلوا علىٰ الحياة الطَّيِّبة في الدَّارين، فإن طيب النفس وسرور القلب،وفرحته ولذّته ،وابتهاجه وطمأنينته ،وانشراحه ونوره ، وسعته ،وعافيته من ترك الشهوات المحرمة،

والشبهات الباطلة، وهو النّعيم علىٰ الحقيقة، ولا نسبة لنعيم البدن إليه، وقد كان يقول بعض من ذاق هذه اللذّة: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسّيوف.

وقال آخر: إنّه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنّهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: إنّ في الدُّنيا جنّة هي في الدُّنيا كالجنة في الآخرة، فمن دخلها دخل تلك الجنة، ومن لم يدخلها لم يدخل جنّة الآخرة، وقد أشار النّبيُّ - ﷺ - إلىٰ هذه الجنة بقوله: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**حلق الذكر**» [1]، وقال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»[2].

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٠)، والترمذيّ (٣٥١٠)، وصحّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٦٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) أخرجه البخاريُّ (١١٣٧)، ومسلم (١٣٩٠).

كيف يصلح القلب؟

تكمن صلاح القلوب وسعادتها بالإنشغال بما ينفع من الأعمال والأقوال ويقرب إلىٰ الله – عزّ وجلّ –، وفي التفكير بما ينفع ،واجتناب كل ما يضر من الأمنيات والشّهوات الرذيلة والقبيحة ووسوسة الشيطان وطرقه، وتذكُّر الموت وسكرته، والقبر وظلمته، والبعث وشدّته، والصّراط وحدّته، وحاسب النّفس ومراقبتها، والإكثار من سؤالها ماذا أعددتي إذا فارق الروح الجسد؟ وإلىٰ أين المصير يوم لا يُغني النصير؟ هل تزوّدتي بزادٍ تبيض فيه الوجوه، أم أنك حملت حملاً عصيبًا ، فأفزعك الأمر الغريب، يوم تخلّىٰ عنك الحبيب والقريب، وفرَّ منك الوالد والولد المجيب.

قال الإمام ابن القيم [(١)] - رحمه الله -:

«فإذا دفعْتَ الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكرًا جوّالاً. فاستخدم الإرادة فتساعدت هي والفكر علىٰ استخدام الجوارح، فإن تعذّر استخدامها رجعا إلىٰ القلب بالتّمنّي والشّهوة، وتوجهه إلىٰ جهة المراد، ومن المعلوم أنّ إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادة، وإصلاح الإرادة أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد، فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شرّ، ومن فكّر فيما لا يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه، فالفكر والخواطر، والإرادة والهمّة أحق شيء بإصلاحه من نفسك، فإنّ هذه خاصيتك وحقيقتك الّتي تبتعد

(١) انظر: «الفوائد» (ص٢٢٥ - ٢٢٧).

بها أو تقرب بها من إلهك ومعبودك الّذي لا سعادة لك إلاّ في قربه ورضاه عنك، وكل الشّقاء في بعدك عنه وسخطه عليك، ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئًا خسيسًا لم يكن في سائر أمره إلاّ كذلك.

وإيّاك أن تمكّن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنّهُ يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرّة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الّذي أعنته علىٰ نفسك، بتمكينه من قلبك وخواطرك فملّكها عليك، فمثلُكَ معه مثال صاحب رحى يطحن فيها جيّد الحبوب، فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر وفحم وغثاء ليطحنه في طاحونه، فإذا طرده ولم يمكنه من إلقاء ما معه في الطّاحون استمرّ علىٰ طحن ما ينفعه، وإن مكّنه من إلقاء ذلك في الطّاحون أفسد ما فيها من الحب وخرج الطّحين كله فاسداً، والذي يُلقيه الشّيطان في النفس لا يخرج

عن الفكر فيما كان ودخل في الوجود لو كان علىٰ خلاف ذلك، وفيما لم يكن لو كان كيف كان يكون، أو فيما يملك الفكر فيه من أنواع الفواحش والحرام، أو في خيالات وهميّة لا حقيقة لها ، أو في باطل، أو فيما لا سبيل إلىٰ إدراكه من أنواع ما طوىٰ عنه علمه، فيلقيه في تلك الخواطر الّتي لا يبلغ منها غاية، ولا يقف منها علىٰ نهاية، فيجعل ذلك مجال فكره ومسرح همّه.

وجماع إصلاح ذلك: أن تشغل فكرك في باب العلوم والتّصوّرات بمعرفة ما يلزمك من التّوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلىٰ دخول الجنّة والنّار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها . وفي باب الإرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته، وطرح إرادة ما يضرّك إرادته، وعند العارفين أنّ تمنّي الخيانة وإشغال الفكر والقلب بها أضرّ علىٰ القلب

من نفس الخيانة، ولاسيّما إذا فرغ قلبه منها بعد مباشرتها، فإنّ تمنّيها يشغل القلب بها ويملؤه منها ويجعلها همه ومراده.

وأنت تجد الشّاهد أنّ الملك من البشر إذا كان في بعض حاشيته وخدمه من هو متمنّ لخيانته مشغول القلب والفكر بها ممتلئ منها، وهو مع ذلك في خدمته وقضاء أشغاله، فإذا اطّلع علىٰ سرّه وقصده، مقته غاية المقت، وأبغضه، وقابله بما يستحقّه، وكان أبغض إليه من رجل بعيد عنه جنىٰ بعض الجنايات وقلبه وسره مع الملك غير منطوٍ علىٰ تمنّي الخيانة ومحبّتها والحرص عليها، فالأوّل يتركها عجزاً واشتغالاً بما هو فيه وقلبه ممتلئ بها، والثاني يفعلها وقلبه كاره لها ليس فيه إضمار الخيانة ولا الإصرار عليها، فهذا أحسن حالاً وأسلم عاقبة من الأول.

وبالجملة فالقلب لا يخلو قط من الفكر إما في واجب آخرته ومصالحها، وإما في مصالح دنياه ومعاشه، وإمّا في الوساوس والأماني الباطلة والمقدّرات المفروضة، وقد تقدّم أنّ النفس مثلها كمثل رحىٰ تدور بما يلقىٰ فيها، فإن ألقيت فيها حبًّا دارت به، وإن ألقيت فيها حصىً وزجاجًا وبعرًا دارت به، والله - سُبحانه - هو قيِّم تلك الرحىٰ ومالكها ومصرفها، وقد أقام لها ملكًا يلقي فيها ما ينفعها فتدور به، وشيطاناً يلقي فيها ما يضر فتدور به، فالملك يلم مرة والشيطان يلم بها مرة، فالحب الّذي يلقيه الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد، والطحين علىٰ قدر الحب، وصاحب الحب المضر لا يتمكن من إلقائه إلاّ إذا وجد الرحىٰ فارغة من الحب وقيّمها قد أهملها وأعرض عنها، فحينئذ يبادر إلىٰ إلقاء ما معه فيها.

وبالجملة، فقيّم الرحىٰ إذا تخلّىٰ عنها وعن إصلاحها وعن إلقاء الحبّ النّافع فيها وجد العدو السبيل إلىٰ إفسادها وإدارتها بما معه، وأصل صلاح هذا الرحىٰ بالاشتغال بما يعنيك، وفسادها كله في الاشتغال بما لا يعنيك، وما أحسن ما قال بعض العقلاء: لما وجدت أنواع الذخائر منصوبة غرضًا للمتالف، ورأيت الزّوال حاكمًا عليها مدركًا لها، انصرفت عن جميعها إلىٰ ما لا يُنازع فيه ذو الحجا أنه أنفع الذخائر وأفضل المكاسب وأربح المتاجر، والله المستعان».



حقيقة طمأنينة القلوب وسعادتها

إنّ حقيقة الطمأنينة والسّعادة الّتي تنشرح بها القلوب وتسكُن إليها تكمُنُ وتتمثل في طاعة الله -عزّ وجلّ- ورسوله -ﷺ-، ففي انقياد العبد لله -عزّ وجلّ- بتحقيق كمال التّوحيد، والعمل بالمأمور، واجتناب المنهي عنه والمحذور، حقيقة الطمأنينة والسّعادة الّتي لا يشعُر بلذّتها إلاّ من أخلص وصبر علىٰ لزوم الطّاعة، وانتهىٰ وابتعد عن الانغماس بظلمة المعصية، وأنّ من جملة الطاعات الّتي تزكوا وتطمئن بها القلوب الإكثار من ذكر الله -عزّ وجلّ- وقراءة القرآن وتدبّره وتفكره والعمل به، قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨) ﴾ [الرّعد: ٢٨].

قال الإمام السّعدي - رحمه الله تعالى -:

«أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذّاتها، ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ أي: حقيق بها، وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوىٰ ذكره، فإنّه لا شيء ألذّ للقلوب وأحلىٰ من محبة خالقها، والأُنس به ومعرفته، وعلىٰ قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له، هذا علىٰ القول بأن ذكر الله هو ذكر العبد لربه من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إنّ المراد بذكر الله كتابه، الّذي أنزله ذكرىٰ للمؤمنين، فعلىٰ هذا معنىٰ طمأنينة القلب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه، تطمئن لها، فإنها تدل علىٰ الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنّها لا تطمئن القلوب، إلاّ باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون علىٰ أتمّ الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكُتب الّتي لا ترجع

إليه، فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة، وتضاد الأحكام ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢]، وهذا إنّما يعرفه من خبر كتاب الله، وتدبّره، وتدبّر غيره من أنواع العلوم، فإنّه يجد بينها وبينه فرقًا عظيمًا»(١).

فهذه هي الطمأنينة الحقيقية للقلوب، فحقيقة قلب المؤمن لا تزكوا ولا تصفوا وتطمئن إلاّ بالإكثار من ذكر الله – عزّ وجلّ – وتدبّر كتابه واتّباع رسوله، وعدم الغفلة والإعراض، فالإعراض عن ذكر الله – عزّ وجلّ – من أعظم صفات المنافقين، ومن أعظم أسباب القلق والضنك في الدُّنيا، كما قال الله – عزّ وجلّ –: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) «تفسير السّعديّ» (٣٩٦).

قال الحافظ ابن كثير [١] - رحمه الله -:

«أي خالف أمري وما أنزلته علىٰ رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿ **فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ في الدُّنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلىٰ اليقين والهدىٰ، فهو في قلق وحيرة وشكّ، فلا يزال في ريبة يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة».

فهذه المعيشة السّيّئة الضّنكة جزاء لمن أعرض عن تدبّر كتاب الله – عزّ وجلّ – وعن ذكر ربه واتباع هدي نبيه – ﷺ – أو فسرت هذه المعيشة – أيضًا – بعذابه في القبر.

وقال الله – سبحانه وتعالىٰ –: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ**

(١) **انظر**: «تفسير القرآن العظيم» (٥/١٨٨).

الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) ﴾

[الزخرف: ٣٦، ٣٧].

قَال الإمامُ السَّعديُّ [١] - رحمه الله -:

« يُخبر - تعالىٰ - عن عقوبته البليغة بمن أعرض عن ذكره ، فقال: ﴿ **وَمَن يَعْشُ** ﴾، أي: يُعرض ويصد ﴿ **عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ** ﴾ الّذي هو القرآن العظيم، الّذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغبات، ومن أعرض عنها وردّها فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدًا، وقيَّضَ له الرحمن شيطانًا مريداً يُقارنه ويُصاحبه، ويعده ويُمنِّيه ويؤزه إلىٰ المعاضي أزًا ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ** ﴾، أي: الصراط المستقيم والدين القويم

(١) **انظر** : « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان » السعديّ (ص٧٣٧).

﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ بسبب تزيين الشيطان للباطل، وتحسينه له ، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا.

فإن قيل : فهل لهذا من عذرٍ من حيث ظنّ أنه مهتدٍ ، وليس كذلك؟.

قيل: لا عذر لهذا وأمثاله الّذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله مع تمكّنهم من الاهتداء، فزهدوا في الهدىٰ مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم ، والجرم جرمهم.

فهذه حالة هذا المُعرض عن ذكر الله في الدُّنيا مع قرينه؛وهو الضّلال والغي وانقلاب الحقائق، وأمّا حاله إذا جاء ربّه في الآخرة فهو شرّ الأحوال، وهو النّدم والتحسّر والحزن الّذي لا يجبر مصابه والتّبريّ من قرينه؛ ولهذا قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) ﴾[الزخرف : ٣٨] » .

وذكر الإمام ابن القيّم - رحمه الله - :

إنّ من علامة صحّة القلوب أن لا تفتر عن ذكر الله - عزّ وجلّ -، وقول أبو الحسين الورّاق : إن حياة القلب في ذكر الحيّ الّذي لا يموت[١].

وذكر - أيضًا - : أنّه لا نعيم للقلب ولا لذّة، ولا ابتهاج، ولا كمال، إلاّ بمعرفة الله ومحبّته ، والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلىٰ لقائه[٢].

وذكر - أيضًا - : أنّ من أعظم أسباب دواء القلوب الذّكر الدّائم بالقلب واللسان[٣]، وأنّه سمع شيخ الإسلام يقول: «الذّكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السّمك إذا فارق الماء»[٤].

---

(١) تقدّم.

(٢) «مدارج السّالكين» (١/ ٣٥٠).

(٣) **انظر** : «مدارج السّالكين» (١/ ٣٥١).

(٤) **انظر** : «الوابل الصّيّب من الكلم الطيب» (ص٤٩).

منزلة الطمأنينة

قال الإمام ابن القيّم (١) - رحمه الله - :

قال الله - تعالىٰ -: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨) ﴾ .

[الرّعد : ٢٨] .

وقال - تعالىٰ -: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** (٢٧) **ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** (٢٨) **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** (٢٩) **وَادْخُلِي جَنَّتِي** (٣٠) ﴾[الفجر: ٢٧ - ٣٠] .

الطمأنينة: سكون القلب إلىٰ الشّيء، وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف «**الصِّدق طُمأنينة، والكَذب ريبةً**»، أي: الصّدق يطمئن إليه قلب السّامع، ويجد عنده سكونًا إليه، والكذب يوجب له اضطرابًا

(١) انظر: «مدارج السّالكين» (٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩).

وارتيابًا، ومنه قوله – ﷺ – : «**البِرُّ ما اطمأنَّ إليه القلب**»[١]، أي: سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه.

وفي «ذكر الله» هاهنا قولان:

أحدهما: «أن ذكر العبد ربه، فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق، فليس له ما يطمئن به سوىٰ ذكر الله».

ثمَّ اختلف أصحاب هذا القول فيه:

فمنهم من قال: هذا في الحلف واليمين، إذا حلف المؤمن علىٰ شيء، وسكنت قلوب المؤمنين إليه واطمأنت، ويروىٰ هذا عن ابن عبّاس – رضي الله عنهما – .

ومنهم من قال: بل هو ذكر العبد ربه بينه وبينه، يسكن إليه قلبه ويطمئن.

---

(١) رواه أحمد وصححه العلامة الألبانيُّ في «صحيح الجامع الصغير» (٢٨٨١) من حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه.

والقول الثاني: أنّ ذكر الله ههنا القرآن، وهو ذكره الّذي أنزله علىٰ رسوله، به طمأنينة قلوب المؤمنين؛ فإنّ القلب لا يطمئن إلاّ بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلىٰ حصول الإيمان واليقين إلاّ من القرآن، فإنّ سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكّه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدّافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلاّ به[١]، وهذا القول هو المختار.

(١) نعم، ففي كتاب الله - عزّ وجلّ - الطمأنينة والسّعادة الحقيقية، ولكن لمن؟ لمن تدبّر كلام الله - عزّ وجل - وعمل به، وقدّم أمره ونهيه علىٰ هوىٰ نفسه وشهوته وملذّاته، فتطمئن به نفسه في الدُّنيا، ويكون شفيعًا له ولوالديه يوم القيامة، أما من لم يتدبّر القرآن، ولم يعمل به فإن القلق والضّيق ملازمه ولو كان حافظًا لكتاب الله - عزّ وجلّ -، فاعظم ما تشكو منه الأمة الإسلامية اليوم عدم العمل بكتاب الله - عزّ وجلّ - وتحكيمه وتدبّره وحفظه، فلابُدّ للحفظ من عمل، فمن حفظ القرآن ولم يعمل به كان من أول من تُسعر بهم النّار يوم القيامة - والعياذ بالله -، فكم نرىٰ اليوم من حفظ بلا عمل، فالمصيبة العظمىٰ التي ابتُليت بها الحركات ومعظم الجمعيات أن يُحفظ القرآن لغرض المسابقات والجوائز والشُّهرة، وهذا =

وكذلك القولان - أيضًا - في قوله - تعالىٰ -: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** (٣٦) ﴾ [الزخرف: ٣٦].

والصَّحيح: أنّ ذكره الّذي أنزله علىٰ رسوله - وهو كتابه - من أعرض عنه: قيّض له شيطانًا يضله ويصده عن السّبيل، وهو يحسب أنّه علىٰ هدًىٰ.

= ما نلامسه في واقعنا، فأصبحنا نرىٰ كثيرًا ممن يحفظ كتاب الله - عزّ وجلّ - بعيدًا كل البُعد عن العمل به، وعن اتّباع سُنّة النّبيّ - ﷺ - بل إن من أعجب العجب أن ترىٰ حافظًا لكتاب الله يرتدي البنطال المُسْبل الضّيّق الّذي يُجسّد عورته، وقد أفتىٰ أهل العلم أنّ الصّلاة به غير صحيحة لتجسيده للعورة، وترىٰ عليه آثار قصّات الشعر الغريبة المخالفة لنهج الإسلام، بل إننا والله قد سمعنا عن حُفاظ لكتاب الله في منطقتنا يرقصون علىٰ الأغاني والأناشيد.

فنقول لهم ولكل من حفظ شيئًا من كتاب الله: أنّ القرآن حجة لك أو عليك، إمّا أن تُرفع به إلىٰ أعلىٰ الدّرجات في الجنّة إذا أخلصت النيّة لله وعملت بما تحفظ، وإما أن تُسحب به إلىٰ نار جهنّم إن خالف الحفظ العمل، فاتق الله في حفظك، واقتف أثر النّبيّ - ﷺ - وأصحابه وسلف هذه الأمة؛ فالقرآن حجة لك أو عليك.

وكذلك القولان - أيضًا - في قوله - تعالىٰ -:
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].



طمأنينة القلب بذكر الله

قال الإمام الحافظ ابن القيّم[١] **- رحمه الله -:**

« طمأنينة القلب بذكر الله، هي طمأنينة الخائف إلىٰ الرجاء، والضّجر إلىٰ الحكم، والمبتلىٰ إلىٰ المثوبة، فالخائف إذا طال عليه الخوف واشتدّ به، وأراد الله – عزّ وجلّ – أن يريحه، ويحمل عنه: أنزل عليه السّكينة، فاستراح قلبه إلىٰ الرجاء واطمأنّ به، وسكن لهيب خوفه.

وأمّا « طمأنينة الضّجر إلىٰ الحكم ».

فالمراد بها: أنّ من أدركه الضّجر من قوة التّكاليف، وأعباء الأمر وأثقاله – ولا سيّما من أقيم مقام التّبليغ عن الله، ومجاهدة أعداء الله، وقطّاع الطّريق إليه – فإنّ ما يحمله ويتحمّله فوق ما يحمله النّاس ويتحمّلونه، فلابُدَّ أن يُدركه الضّجر، ويضعف صبره، فإن أراد الله أن

---

(١) انظر: « مدارج السّالكين » (ص ٢ / ٣٩١ – ٣٩٢) بتصرف.

يريحه ويحمل عنه: أنزل عليه السّكينة، فاطمأن إلىٰ حكمه الديني، وحكمه القدري، ولا طمأنينة له بدون مشاهدة الحكمين، وبحسب مشاهدته لهما تكون طمأنينته، فإنّه إذا اطمأنّ إلىٰ حكمه الديني علم أنّه دينه الحق، وهو صراطه المستقيم، وهو ناصره وناصر أهله وكافيهم ووليهم.

وإذا اطمأنّ إلىٰ حكمه الكوني: علم أنّه لن يصيبه إلاّ ما كتب الله له، وأنّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا وجه للجزع والقلق إلاّ ضعف اليقين والإيمان، فإنّ المحذور والمخوف: إن لم يُقدر فلا سبيل إلىٰ وقوعه، وإن قُدّر فلا سبيل إلىٰ صرفه بعد أن أبرم تقديره.

نعم إن كان له في هذه النازلة حيلة، فلا ينبغي أن يضجر عنها، وإن لم يكن فيها حيلة فلا ينبغي أن يضجر منها، فهذه طمأنينة الضجر إلىٰ الحكم، وفي مثل هذا قال القائل:

ما قد قضىٰ يا نفس فاصطبري له
ولك الأمان من الذي لم يُقَدّر
وتحقَّقي أنّ المقدر كائن
يجري عليك حذرت أم لم تحذري

وأمّا «طمأنينة المبتلىٰ إلىٰ المثوبة»:

فلا ريب أنّ المبتلي إذا قويت مشاهدته للمثوبة سكن قلبه واطمأن بمشاهدة العوض.

وإنّما يشتد به البلاء إذا غاب عنه ملاحظة الثواب، وقد تقوىٰ ملاحظة العوض حتّىٰ يستلذ بالبلاء ويراه نعمة، ولا تستبعد هذا، فكثير من العقلاء إذا تحقق نفع الدواء الكريه فإنه يكاد يلتذُّ به، وملاحظته لنفعه تغيبه عن تألمه بمذاقه أو تخففه عنه، والعمل المعول عليه: إنّما هو علىٰ البصائر. والله أعلم».

فضل الذكر وعظمته [(١)] والحثّ عليه

قال – تعالىٰ –: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥) ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال – تعالىٰ –: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال ابن القيّم - رحمه الله -: لو لم يكن في الذّكر إلاّ هذه الفائدة وحدها لكفىٰ بها فضلاً وشرفًا[(٢)].

وقال – تعالىٰ –: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) انظر: «الحصن المختار» لشيخنا الرازحي – حفظه الله – (ص٩).
(٢) «الوابل الصيّب» (ص٥٨).

وعن أبي موسىٰ – رضي الله عنه – عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال: «**مــثل الّذي يذكــر ربه والّذي لا يذكــره مــثل الحيّ والميت**»[1].

وقال الله – تعالىٰ –: ﴿ **اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)** ﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقــال الله – تعــالىٰ –: ﴿ **وَالذَّاكِــرِينَ اللَّهَ كَـثِـيــرًا وَالذَّاكِرَاتِ** ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقَال الله – تعـالىٰ –: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُـرُونَ اللَّهَ قِـيَـامًـا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال الله – تعالىٰ –: ﴿ **إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقَال الله – تعالىٰ –: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

---

(١) أخرجه البخاريّ (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) بلفظ: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مثل الحي والميت**».

وقال الله – تعالىٰ –: ﴿ لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩].

وقال الله – تعالىٰ –: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال بدر الدين العيني الحنفيّ (١) – رحمه الله –:

« وقوله – تعالىٰ –: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ في سورة البقرة، يعني: اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة، فحقٌّ علىٰ الله أن يذكر من ذكره، فمن ذكره في طاعته ذكره الله بخير، ومن ذكره في معصيته ذكره الله باللعنة، وسوء الدار، وقيل: اذكروني في الرّخاء أذكركم في البلاء، وقيل: اذكروني في الضّيق، أذكركم بالمخرج، وقيل: اذكروني في الخلاء أذكركم في الملأ، وقيل:

---

(١) في كتابه « العلم الهيب بشرح الكلم الطيّب » لشيخ الإسلام (ص٣٩ – ٤١).

اذكروني في ملأ من الناس، أذكركم في ملأ من الملائكة، وقيل: اذكروني بالشكر أذكركم بالزّيادة، وقيل: اذكروني بالدعاء، أذكركم بالإجابة، وقيل: اذكرني في الدُّنيا بالإخلاص، أذكركم في الآخرة بالخلاص.

وقوله – تعالىٰ –: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ في سورة الأحزاب، يعني: اذكروا الله باللسان، واذكروه في الأحوال كلها؛ لأنّ الإنسان لا يخلو إما أن يكون في الطّاعة، أو في المعصية، أو في النعمة، أو في الشّدّة، فإذا كان في الطّاعة ينبغي أن يذكر الله ويقرُّ بالإخلاص، ويسأله القبول والتّوفيق، وإذا كانت في المعصية ينبغي أن يذكر الله ويقرُّ بالامتناع منه، ويسأله التوبة والمغفرة، وإذا كان بالنعمة يذكره بالشّكر، وإذا كان في الشّدّة يذكره بالصّبر.

وقوله - تعالى - : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ يعني : باللسان من الرجال والنّساء، وهذا في مقام المدح للذّاكرين والذّاكرات ، والذّاكر لله كثيراً لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما، وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم[1] من الذكر.

---

(١) والعلم المقصود هنا: هو علم الكتاب والسُّنَّة، وهذا هو العلم الّذي فيه سعادة الدُّنيا والآخرة، وكذا الآيات والأحاديث الّتي تذكر منزلة العلم وأهله وما أعد الله لهم من خيرٍ ومنزلة وفضلاً وشرفًا هو قول الله - عزّ وجلّ - ورسوله - ﷺ - والصحابة - رضوان الله عليهم -، فلما ترك كثير من الناس هذا العلم واتّجهوا لغيره أُذلّوا من بعد عزهم، وأُهينوا من بعد كرامتهم، وقلّدوا من بعد تقليدهم وتعظيمهم، ولله درُ ابن القيّم حيث قال:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصّحابة ليس بالتّمويه

وقال ابن الورديّ في لاميّته:

واحتفل للفقه في الدّين ولا ... تشتغل عنه بمالٍ وخول

قال الشّيخ يحيىٰ الحجبوريّ: «احتفل له، واعلم أنك مهما احتفلت للعلم لم تعطه حقّه، علم كتاب الله وسُنّة رسول الله - ﷺ -، احتفل للفقه في الدين، أمّا الفقه في أمور الدُّنيا دراسات دنيوية فلا تُصرف الأعمار فيها، فإنّ شرف العلم بقدر شرف المعلوم؛ فمن كان

وقال – ﷺ –: **«من استيقظ من نومه، وأيقظ امرأته وصلّيا جميعًا ركعتين، كتبا من الذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات»**[١].

وسُئلَ الشّيخ الإمام أبو عمرو بن الصّلاح عن القَدْر الّذي به يصير المرء من الذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات؟!. فقال: «إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة[٢] صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلاً ونهاراً كان من الذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات»[٣].

وقد سألتُ بعض مشايخي عن حدِّ الذكر الكثير؟

= عنده علم نافع حصل له من الشرف النّافع، فتجد أصحاب علوم الدنيا ما لهم كبير مقدار؛ سنين قضوها، وأوقات قتلوها، ويُؤيّد هذا القول حديث معاوية – رضي الله عنه – الّذي في «الصحيحين»: **«من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»** «شرح لاميّة ابن الوردي» للعلامة الحجوري (ص٦٨).

(١) أخرجه أبو داود (١٣٠٩) وصحّحه الألبانيُّ.

(٢) أي: الصّحيحة.

(٣) ذكره النّوويُّ في «الأذكار» (ص ١٣).

فأخبر أنّه قال: «سمعت من المشايخ الكبار: أنّ الذّكر الكثير: هو قول المصلي عقيب صلاته: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين مرة، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين مرة، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرة، والختم تمام المائة بلا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير».

وقوله – تعالىٰ –: ﴿**الَّذين يذْكُرُونَ اللّهَ قِيامًا وقُعُودًا وعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ**﴾ يعني: الّذين يذكرون الله في الأحوال كلها في حال القيام، والقعود، والاضطجاع».

أفضل الأعمال ذكر الله:

[١] عن أبي الدّرداء – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**ألا أُنبّئكم بخير أعمالكم وأوفاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتهم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذّهب والورق، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوكم**

فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟! » ، قالوا : بلىٰ يا رسول الله، قال : « **ذكرُ الله** »[١] .

قالَ العلاّمة بدر الدّين العيني الحنفي[٢] **- رحمه الله -:**

« واعلم أنّ شيخ الإسلام ابتدأ بذكر هذا الحديث في كتابه « الكلم الطّيّب »، وأراد بإيراد هذا الحديث – ربّما ذكره عقيبه – أن يثبت أنَّ ذكر الله يُعدُّ أفضل الأعمال وأزكاها، فانظر كيف سمّاه صاحب الشّرع بخير الأعمال بقوله : « **ألا أُنبّئكم بخير أعمالكم** » ، فأشار – ﷺ – إلىٰ أنّ ذكر الله – عزّ وجلّ – أفضل من جميع الأعمال، وأنّه أزكىٰ الأعمال وأرفعها للدرجات، وأنّه أفضل من الصّدقة ؛ حيث قال : « **وخير لكم من إنفاق الذّهب والورق** »، وأنّه أفضل من الجهاد ؛ حيث قال :

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥)، والتّرمذيّ (٤٢٨)، وصحّحه الألبانيُّ في « صحيح الجامع » (٢٦٢٩)، والوادعيّ في « الجامع الصّحيح » (٢/٥٢٢).

(٢) انظر : « العلم الهيب بشرح الكلم الطّيّب » (ص٤٦).

«وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم»، وضرب أعناق الأعداء جهاد، وأفضل من الشهادة حيث قال: **«ويضربوا أعناقكم»**؛ لأنّ الشّهادة الفاضلة أن تضرب الأعناق في أيدي الأعداء في سبيل الله بعد».

وقال الإمام الشّوكانيّ اليمانيّ [١] - رحمه الله -:

«قوله: **«بخير الأعمال»** فيه دليل علىٰ أنّ الذّكر خير الأعمال علىٰ العموم، كما يدلّ عليه إضافة الجمع إلىٰ الضّمير، وكذلك إضافة أزكىٰ وأرفع إلىٰ ضمير الأعمال، والزكاء النّماء والبركة، فأفاد كل ذلك أنّ الذّكر أفضل عند الله - سُبحانه وتعالىٰ - من جميع الأعمال الّتي يعملها العباد، وأنه أكثرها نماءً وبركة، وأرفعها درجة، وفي هذا ترغيب عظيم، فإنه يدخل تحت الأعمال كل عمل يعمله العبد كائنًا ما كان.

---

(١) **انظر**: «تحفة الذّاكرين بعدة الحصن الحصين» (ص٤٣).

قوله: «**وخير لكم من إنفاق الذّهب والفضة**» وفي نسخة: «**من إنفاق الذهب والورق** »، وفي نسخة: «**الجمع بين الفضة والورق**» ، والورق هي الدراهم المضروبة، فعطفه علىٰ الفضّة من عطف الخاص علىٰ العام، وعطف إنفاق الذّهب والفضّة علىٰ ما تقدّم من عموم الأعمال مع كونه مندرجًا تحتها يدُلُّ علىٰ فضيلة زائدة علىٰ سائر الأعمال كما هو النكتة المذكورة في عطف الخاص علىٰ العام،وهكذا قوله:«**وخير لكم من أن تلقوا عدوكم**» وهذا من عطف الخاص علىٰ العام لكون الجهاد من الأعمال الفاضلة، وطبقته مرتفعة علىٰ كثير من الأعمال، وفي تخصيص هذين العملين الفاضلين بالذكر – أيضًا – بعد تعميم جميع الأعمال زيادة تأكيد لما دلّ عليه: «**ألا أنبّئكم بخير أعمالكم**» وما بعده من فضيلة الذكر علىٰ كل الأعمال، ومبالغة في النداء بفضله عليها، ودفع لما يظن من أنّ المراد بالأعمال

هاهنا غير ما هو متناه في الفضيلة وارتفاع الدرجة وهو الجهاد والصّدقة بما هو محبب إلىٰ قلوب العباد فوق كل نوع من أنواع المال وهو الذّهب والفضّة».

[٢] وعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال النّبيُّ - ﷺ -: «**سبق المفرّدون**» قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟! ، قال: «**الذّاكرون الله كثيراً والذّاكرات**»[١].

قال العلاّمة بدر الدّين الحنفي[٢] - رحمه الله -:

قال الجوهريّ: هم المتخلّون عن النّاس بذكر الله، لا يخلطون به غيره.

وقيل: المفردون: الموحدون الّذين لا يذكرون إلاّ الله، وأخلصوا دينهم وعبادتهم. وقيل: المفردون: الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون الله. وقيل: هم الذين اهتزوا من ذكر الله[٣].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) «العلم الهيب بشرح الكلم الطيب» (ص٨٠).

(٣) وليس المقصود بقوله: اهتزوا من ذكر الله: أي: كما يهتز الصّوفيّ إذا =

[٣] وجاء من حديث عبد الله بن بُسْر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إنّ شرائع الإسلام قد كثُرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله – تعالىٰ –**»(١).

[٤] وعن أبي موسىٰ الأشعريّ – رضي الله عنه – عن النّبيّ

= ذكر الله، فطريقة الصّوفيّة في ذكر الله علىٰ الطار وبأصوات جماعية طريقة مخالفة لهدي النّبيّ – ﷺ – فلم تثبت هذه الطريقة عن النّبيّ – ﷺ – ولا عن أحد من أصحابه – رضوان الله عليهم – فهي طريقة مبتدعة مخالفة لطريقه وسُنَّته – ﷺ – وهو القائل: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**» فأيّ عمل لم يعمله رسول الله – ﷺ – ، واستحسنه النّاس فهو مردود علىٰ صاحبه غير مقبل، بل أن فاعله مأثوم إذا لم ينته ويتوب إلىٰ الله ويُبيِّن خطأه للناس، والمقصود بقوله: «اهتزوا» أي من الخشية والمراقبة والخوف والأنس بذكره – تعالىٰ – والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد (٤ / ١٩٠)، والترمذيّ (٣٣٧٥)، وصحّحه الألبانيُّ في «صحيح الكلم الطّيب» (رقم ٣)، والوادعيّ في «الجامع الصحيح» (٢ / ٥٢٢)، ولهذا الحديث ألفاظ كثيرة يصححها ويحسنها العلامة الألباني، ومنها: قوله – ﷺ –: «**خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله**».

- ﷺ - قال: «**مثل الّذي يذكر ربه، والّذي لا يذكر ربه مثل الحيّ والميت**»(١).

قال الإمام الشوكانيّ اليمانيّ - رحمه الله -:(٢)

«وفي هذا التّمثيل منقبة للذاكر جليلة وفضيلة له نبيلة،وأنه بما يقع منه من ذكر الله - عزّ وجلّ - في حياة ذاتيّة وروحيّة لما يغشاه من الأنوار، ويصل إليه من الأجور، كما أنّ التّارك للذكر، وإن كان في حياة ذاتية فليس لها اعتبار، بل هو شبيه بالأموات الّذين لا يفيض عليهم بشيء مما يفيض علىٰ الأحياء المشغولين بالطّاعة لله -عزّ وجلّ-، ومثل ما في هذا الحديث قوله-تعالىٰ-: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٢]، والمعنىٰ: تشبيه الكافر بالميت وتشبيه الهداية إلىٰ الإسلام بالحياة».

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٤٠٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٢) «تحفة الذّاكرين» (٤٦).

[٥] وجاء من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**قال الله – تعالىٰ –: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»[١].

قال الإمام الحافظ ابن القيّم[٢] - رحمه الله -:

«لو لم يكن في الذكر إلاّ هذه الفائدة وحدها لكفىٰ بها فضلاً وشرفًا». أي: لو لم يكُن للذّاكر لله – عزّ وجلّ – إلاّ أن يذكره الله – عزّ وجلّ – في الملأ الأعلىٰ لكفىٰ بهذا الفضل والشّرف عن غيره.

[٦] وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «**كان النّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – يذكر الله علىٰ كُلِّ أحيانه**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاريّ (٧٤٠٥)، ومسلم (١٧).

(٢) «الوابل الصّيّب» (ص٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣٧٣).

[٧] وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ونحن في الصُّفَّة فقال: «**أيّكم يُحبُّ أنْ يغدو كلّ يوم إلىٰ بطحان أو إلىٰ العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟**». فقلنا: يا رسول الله، نُحبُّ ذلك، قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلىٰ المسجد فيتعلّم أو يقرأ آيتين من كتاب الله – عزّ وجلّ – خير له من ناقتين، وثلاث خيرٌ له من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ، ومن أعدادهنّ من الإبلِ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٣).

آداب الذِّكر

قال الإمام ابن الجزريّ [(١)] - رحمه الله - في آداب الذكر: [(٢)]

« ينبغي أن يكون المكان الّذي يذكر الله فيه نظيفًا خاليًا، والذّاكر علىٰ أكمل الصّفات الآتية، وأن يكون فمه نظيفًا، وأن يزيل تغيّره بالسّواك، وأن يستقبل القبلة، وأن يتدبّر ما يقول ويتعقّل معناه، وإن جهل

(١) هو الإمام الكبير محمد بن محمد بن محمد بن عليّ بن يوسف الجزريّ – رحمه الله – وُلد بدمشق سنة ٧٥١، ورحل إلىٰ مصر والحرمين، برز في كثير من العلوم، خصوصًا علم القرآن، فإنّه تفرّد به وأخذ عنه الناس فيه ، وصنّف « النشر في القراءات العشر » ، وله – أيضًا– « التوضيح في شرح المصابيح »، « الحصن الحصين » الّذي شرحه الإمام الشّوكانيّ فسمّاه « تحفة الذّاكرين بعدّة الحصن الحصين ».

(٢) « تحفة الذّاكرين بعدّة الحصن الحصين » للشّوكانيّ (ص٨٤).

شيئًا تبيّنه، ولا يعتدّ له بشيء مما رتّبه الشارع علىٰ قوله حتّىٰ يتلفّظ به، ويسمع نفسه، وأفضل الذّكر القرآن إلاّ فيما شُرِع بغيره، والمواظب علىٰ الأذكار المأثورة صباحًا ومساءً، وفي الأحوال المختلفة هو من الذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات، ومن كان له ورد معروف ففاته فليتداركه إذا أمكنه ليعتاد الملازمة عليه».

قال الإمام الشّوكانيّ اليمانيّ[١] - رحمه الله - :

«**قوله:** «ينبغي أن يكون المكان الّذي يُذكر الله فيه نظيفًا خاليًا». **أقول**: وجه هذا أنّ الذكر عبادة للرب - سبحانه -، والنّظافة علىٰ العموم قد ورد التّرغيب فيها، والأمر بالبعد عن النجاسة، كما في قوله - تعالىٰ -: ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ [المدثر: ٤، ٥]، ولا شكّ أنّ القعود حال الذكر في مكان متنجّس يخالف آداب العبادة كما في آداب الصّلاة من تطهير مكانها».

---

(١) **انظر**: «تحفة الذّاكرين» (ص٨٤ - ٨٦).

وقوله: « وأن يكون فمه نظيفًا، وأن يزيل تغيره بالسّواك »، **أقول:** وجه هذا أنّ الذكر عبادة باللسان، فتنظيف الفم عند ذلك أدب حسن، ولهذا جاءت السُّنّة المتواترة بمشروعية السّواك للصّلاة، والعلّة في ذلك تنظيف المحلّ الّذي يكون الذكر به في الصّلاة، وقد صحّ أنّه - ﷺ - لمّا سلّم عليه بعض الصحابة تيمّم من جدار الحائط ثُمَّ ردّ عليه، وإذا كان هذا في مجرد ردّ السّلام، فكيف بذكر الله - سُبحانه - فإنّه أولىٰ بذلك، وأخرج أبو داود من حديث ابن عبّاس عنه - ﷺ -: « **كرهت أن أذكر الله إلاّ علىٰ طهر** »[١]. وصحّحه ابن خزيمة ».

قوله: « وأن يستقبل القبلة » **وأقول:** وجه ذلك أنّها الجهة الّتي شرع الله - سُبحانه - أن تكون الصّلاة إليها، وهي الجهة الّتي يتوجّه إلىٰ الله - عزّ وجلّ - منها؛

---

(١) أخرجه أبو داود (١٧)، وابن ماجة (٣٥٠)، وصحّحه العلاّمة الألبانيُّ - رحمه الله - في « الصّحيحة » (٨٣٤) من حديث مهاجر ابن قنفذ - رضي الله عنه - .

ولهـذا ورد النهي عن أن يبصق الرجل إلىٰ جهة القبلة معللاً بمثل هذه العلة كما في الأحاديث الصّحيحة».

قوله: «ويتدبّر ما يقول ويتعقل معناه، وإن جهل شيئًا تبيّنه». **أقول:** لا ريب أن تدبّر الذّاكر لمعاني ما يذكر به أكمل؛ لأنّه بذلك يكون في حكم المخاطب والمُناجي، لكن وإن كان أجر هذا أتمّ وأوفىٰ، فإنّه لا يُنافي ثبوت ما ورد الوعد به من ثواب الأذكار لمن جاء بها، فإنه أعلم من أن يأتي بها متدبّرًا لمعانيها متعقّلاً لما يراد منها أولاً، ولم يرد تقييد ما وعد به من ثوابها بالتّدبّر والتّفهُّم».

قوله: «ولا يعتدّ له بشيء مما رتّبه الشّارع علىٰ قوله حتّىٰ يتلفّظ به ويسمع نفسه» **أقول:** أما باعتبار التّلفّظ فهو معلوم من أقواله - ﷺ - المصرحة بأن من قال كذا كان له من الأجر كذا، فلا يحصل له ذلك الأجر إلاّ بما يصدق عليه معنىٰ القول: وهو لا يكون إلاّ بالتّلفُّظ

باللسان، وأمّا اشتراط أن يسمع نفسه فلم يرد ما يدلّ عليه؛ لأنّه يصدق القول بمجرد التّلفّظ، وهو تحريك اللّسان، وإن لم يسمع نفسه، فينظر ما وجه الاشتراط؟ مع أنه قد تقدّم الحديث الّذي في الصّحيحين، «**فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**»: فإذا كان مجرد الذّكر النفسي مقتضيًا للثّواب فكيف لا يكون الذّكر اللّسانيّ الّذي قد صدق عليه أنّه قول مقتضيًا للثّواب، والحاصل أنه لا وجه لهذا الاشتراط باعتبار أصل الثّواب، ولا باعتبار كماله، بل قد يكون التّدبّر والتّفهُّم بما لا يسمع النّفس من الأذكار أتمّ وأكمل».

قوله: «وأفضل الذّكر القرآن إلاّ فيما شرع بغيره»

أقول: ثواب الأذكار قد قدّرها الشّارع - ﷺ - وصرّح بما يحصل لفاعلها من الأجر، وهكذا ما ورد في تلاوة القرآن علىٰ العموم، وفي تلاوة سورة منه معيّنة، وآيات خاصة - كما هو معروف في مواضعه - وكون هذا

الذكر أفضل إنّما يظهر بما يترتّب عليه من الأجر، فما كان أجره أكثر كان أفضل ، ولا ريب أنّ كلام الرّبّ – سبحانه – أفضل من حيث ذاته، وأشرف الكلام علىٰ الإطلاق، وأين يكون كلام البشر من كلام خالق القوىٰ والقدر؟ تبارك اسمه ، وعلا جدّه ، ولا إله غيره.

وأما قوله : إلاّ فيما شرع بغيره، فذلك في المواطن الّتي قد ورد النّهي عن قراءة القرآن فيها،كما ثبت عنه – ﷺ – في الصّحيح «**إنّي نُهيت أن أقرأ القرآن راكعًا وساجدًا**»[1]، وهكذا ما وردت به السُّنَّة من الأذكار في الأوقات، وعُقيب الصّلوات، فإنّه ينبغي الاشتغال بما ورد عنه – ﷺ – فإنّ إرشاده إليه يدلّ علىٰ أنّه أفضل من غيره.

قوله: «والمواظب علىٰ الأذكار المأثورة صباحًا ومساءً، وفي الأحوال المختلفة هو من الذّاكرين الله كثيرًا

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦١).

والذّاكرات ». **أقول:** لاشَكَّ أنّ صدق هذا الوصف،أعني كونه من الذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات أكمل من صدقه علىٰ من ذكر الله كثيراً من غير مواظبة، وقد ثبت في الصَّحيح من حديث عائشة – رضي الله عنها – أنّ النّبيَّ – ﷺ – كان يذكر الله كثيراً علىٰ كل أحيانه[١]. وورد عنه – ﷺ – «**أنّ أحبّ العمل إلىٰ الله – تعالىٰ – أدومه**»[٢].

وقوله: « ومن كان له ورد معروف ففاته تداركه إذا أمكنه ليعتاد الملازمة عليه » **أقول:** هكذا ينبغي حتّىٰ يصدق عليه أنه مديم للذكر مواظب عليه، وقد كان الصّحابة – رضي الله عنهم – يقضون ما فاتهم من أذكارهم الّتي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة، وثبت في « الصحيح » من حديث عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – : «**من نام عن حزبه من الليل أو**

(١) أخرجه مسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه البخاريّ (٤ / ٤٨)، ومسلم (٨ / ١٤٠).

شيء منه ، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كتب الله له كأنّما قرأه من الليل»[١] .

وقال الإمام العلامة بدر الدين العيني الحنفيّ - رحمه الله - في آداب الذكر: [٢]

« ثُمَّ الذّكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا، فإن اقتصر علىٰ أحدهما فالقلب أفضل[٣]، ثُمَّ لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفًا من أن يُظنّ به الرّياء!!، بل يذكر بهما جميعًا، ويقصد به وجه الله – تعالىٰ – ؛ لأن ترك العمل لأجل الناس رياء، قاله الفضيل بن عياض[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢٩) .

(٢) انظر : «العلم الهيب في شرح الكلم الطّيّب» (ص٦٨ – ٧٠) .

(٣) علىٰ خلاف، والأرجح أنّ اللّسان أفضل .

(٤) النّوويّ في «الأذكار» (ص١٠) .

وفضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله – تعالىٰ – بطاعته ذاكر لله – عزّ وجلّ – .

قال سعيد بن جبير ، وغيره من العلماء، وقال عطاء: «مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، يتعلم منها كيف يشتري، ويبيع، ويصلّي، ويصوم، وينكح، ويطلق، ويحجّ، ونحو ذلك»[١] .

ويجوز الذكر للمحدث، والجنب، والحائض، والنفساء بأنواعه، غير قراءة القرآن، فإن ذلك حرام علىٰ المحدث[٢] .

وينبغي أن يكون الذّاكر علىٰ أكمل الصّفات، فإن

---

(١) ذكره النّوويُّ في «الأذكار» (ص١٢) .

(٢) علىٰ خلاف بين أهل العلم، والراجح فيها الجواز المطلق، والأفضل التوضأ عند قراءة القرآن. انظر «سبل السّلام» (١ / ٣٥٣)، و«المحلىٰ» (٢ / ٦٠٦)، و«تمام المنّة» للألبانيّ (ص١١٦)، و«الشرح الممتع» (١ / ٢١١) للعثيمين.

كان جالسًا في موضع استقبل القبلة وجلس متحشمًا متذللاً بسكينة ووقار، مطرقًا رأسه، ولو ذكر علىٰ غير هذه الأحوال جاز، لكن إن كان بغير عذر كان تاركًا للفضيلة.

ولا يكره له ذلك؛ لقوله - تعالىٰ -: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ﴾ [آل عمران: ١٩١] الآية، وينبغي أن يكون الذكر في موضع نظيف؛ فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور؛ ولهذا مُدح الذكر في المساجد، والمواضع الشّريفة، رويناه عن الإمام الجليل أبي ميسرة قال: «لا يُذكر الله إلاّ في مكان طيّب»(١).

وينبغي أن يكون فمه نظيفًا، فإن كان فيه نجاسة أزالها بالسّواك.

واستعمال السّواك عن تغيّر الفم مستحبّ

(١) ذكره النّوويُّ في «الأذكار» (ص١٥).

بالإجماع، فإن كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروه ولا يَحْرُمُ.

ولو قرأ القرآن وفمه نجس يُكره.

ويُستحبّ للذّاكر أن يقطع ذكره عند بعض الأحوال الّتي تعرض، كردّ السّلام، وتشميت العاطس، وعند الخطبة والآذان والإقامة، كذا عند غلبة النّعاس، وما أشبه ذلك، وهذه آداب الذّكر».



فضل مجالس الذّكر

[١] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ - رضي الله عنهما - أنّهما شهدا على النّبيّ - ﷺ - أنّه قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله - عزّ وجلّ - إلاّ حفّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السّكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[١].

[٢] وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النّبيّ - ﷺ - قال: «**إنّ لله - تبارك وتعالى - ملائكةً سيّارةً فُضُلاً يتّبعون مجالس الذّكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحفّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتّى يملأوا ما بينهم وبين السّماء الدُّنيا، فإذا تفرّقوا عرجوا وصعدوا إلى السّماء، قال: فيسألهم الله**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

- عزّ وجلّ - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض، يسبحونك ويكبّرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنّتك، قال: وهل رأوا جنّتي؟ قالوا: لا أي ربّ، قال: فكيف لو رأوا جنّتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: ومٍمَّ يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: ربّ، فيهم فلان عبدٌ خطّاءٌ إنّما مرَّ، فجَلَسَ معهم، قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم»[1].

[٣] وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩).

قال: «**إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا**»، قالوا: وما رياض الجنّة؟، قال: «**حِلَقُ الذّكر**»[١].

[٤] وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتّىٰ مطلع الشّمس أحبّ إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلىٰ أن تغرب الشّمس، أحبّ إليّ من أن أعتق أربعة**»[٢].

---

(١) أخرجه التّرمذيُّ (٣٥١٠)، وحسّنه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٦٢).

(٢) رواه أبو داود (١٠ / ١٠٢)، وصحّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (٣١١٤)، والوادعيُّ في «الجامع الصّحيح» (٢ / ٥٢٥).

ذم الغفلة وعدم الذكر في المجلس

[١] عن أبي سعيد الخدريّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **«ما من قوم يجلسون مجلسًا لا يذكرون الله فيه، إلاّ كانت عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنّة»** (١).

[٢] وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلاّ قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرةً»** (٢).

---

(١) رواه النّسائيّ في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٩)، وصحّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٨٠)، والوادعيّ في «الجامع» (٢/٥٣١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (٤٠٦٤)، والوادعيّ في «الجامع» (٢/٥٣١)، وقال: حديث حسن على شرط مسلم.

[٣] وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ النّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - قال: **«ما قعد قومٌ مقعداً لا يذكرون الله فيه ويُصلّون على النّبيّ، إلاّ كان عليهم حسرةً يوم القيامة، وإن أُدخلوا الجنّة، للثّواب»**(١).

---

(١) أخرجه ابن حبّان (٥٩١)، وصحّحه الوادعيّ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٤٦٢).

الذكر وحقيقة النور الإلهي

قال العلاّمة ابن القيّم [(١)] - رحمه الله -:

«أنّ الذكر نور للذّاكر في الدُّنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعىٰ بين يديه علىٰ الصّراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله - تعالىٰ -، قال الله - تعالىٰ -: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالأوّل - هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبّته ومعرفته وذكره، والآخر: هو الغافل عن الله - تعالىٰ - المُعرض عن ذكره ومحبّته، والشّأن كل الشّأن والفلاح كل الفلاح في النور، والشّقاء كل الشّقاء في فواته؛

(١) انظر: «الوابل الصّيّب من الكلم الطّيّب» (ص٦٠ - ٦١).

ولهذا كان النّبيُّ - ﷺ - يُبالغ في سؤال ربّه - تبارك وتعالىٰ - حين يسأله أن يجعله في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه، حتَّىٰ يقول: **«واجعلني نورًا»**(١).

فسأل ربه - تبارك وتعالىٰ - أن يجعل النّور في ذرّاته الظّاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورًا، دين الله - عزّ وجلّ - نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره الّتي أعدّها لأوليائه نور يتلألأ، وهو - تبارك وتعالىٰ - نور السّماوات والأرض ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٣١)، ومسلم (٧٦٣) من حديث ابن عبّاس - رضي الله عنهما - .

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾ [النّور: ٣٥].



فوائد الذّكر

ولذكر الله – عزّ وجلّ – فوائد عديدة ذكرها المولىٰ – تبارك وتعالىٰ – في كتابه الكريم، والنّبيُّ – ﷺ – في السُّنَّة المُطهّرة، وأَكْثَرَ العلماءُ في الكتابة والبحث عن هذه الفوائد.

فذكر الإمام شمس الدين ابن القيم – رحمه الله – مائة فائدة في الذكر في كتابه العظيم «الوابل الصّيّب من الكلم الطّيّب. وذكر الإمام بدر الدين العيني الحنفي – رحمه الله – في كتابه «العلم الهيب بشرح الكلم الطّيب» سبعون فائدة، وسنذكر ما تيسّر منها بشكل مختصر، ومن أراد التّوسّع فعليه الرّجوع إلىٰ الكُتب الّتي أشرنا إليها.

فمن فوائد الذّكر: [١]

[١] أنّه يطرد الشّيطان ويقمعه ويكسره.

[٢] أنه يرضي الرحمن - عزّ وجلّ -.

[٣] أنه يزيل الهمّ والغم عن القلب.

[٤] أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

[٥] أنه يقوّي القلب والبدن.

[٦] أنّه ينوّر الوجه والقلب.

[٧] أنّه يجلب الرزق.

[٨] أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

[٩] أنه يورثه المحبـة الّتي هي روح الإسـلام، وقطب رحي الدّين، ومدار السّعادة والنجاة.

---

(١) نقلتُ هذه الفوائد من كتاب «الوابل الصّيّب من الكلم الطّيّب» بشكل مختصر، ولم أذكرها بتوسّع، فمن أراد التّوسّع في الموضوع، فعليه الرجوع إلىٰ كتابه؛ فهو من أعظم الكُتُب في باب الذّكر.

[١٠] أنه يورثه المراقبة حتَّىٰ يدخل في باب الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلىٰ مقام الإحسان.

[١١] أنه يورثه الإنابة وهي الرّجوع إلىٰ الله – عزّ وجلّ – فمتىٰ أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله.

[١٢] أنه يورثه القرب منه ، فعلىٰ قدر ذكره لله – عزّ وجلّ – يكون قربه منه، وعلىٰ قدر غفلته يكون بعده منه.

[١٣] أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكُلّما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

[١٤] أنه يورث الهيبة لربه – عزّ وجلّ – وإجلاله لشدّة استيلائه علىٰ قلبه وحضوره مع الله – تعالىٰ –، بخلاف الغافل، فإنّ حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

[١٥] أنه يورثه ذكرالله – تعالىٰ – له كما قال : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢]، ولو لم يكن في الذكر إلاَّ هذه وحدها لكفىٰ بها فضلاً وشرفًا.

[١٦] أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام يقول: الذّكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السّمك إذا فارق الماء.

[١٧] أنّه قوت القلب والروح.

[١٨] أنه يورث جلاء القلب من صداه.

[١٩] أنه يحط الخطايا ويذهبها؛ فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السّيئات.

[٢٠] أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه – تبارك وتعالىٰ –، فإنّ الغافل بينه وبين الله – عزّ وجلّ – وحشة لا تزول إلاَّ بالذّكر.

[٢١] أنّ ما يذكر به العبد ربه – عزّ وجلّ – يذكر بصاحبه عند الشّدّة.

[٢٢] أنّ العبد إذا تعرّف إلىٰ الله – تعالىٰ – بذكره في الرّخاء عرفه في الشّدّة.

[٢٣] أنه ينجي من عذاب الله – تعالىٰ – وتقدم حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – [1].

[٢٤] أنّه سبب تنزيل السّكينة وغشيان الرّحمة وحفوف الملائكة بالذاكر.

[٢٥] أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنّميمة والكذب والفحش والباطل.

[٢٦] أنّ مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخيّر العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) حديث معاذ – رضي الله عنه – قال: **«ما شيء أنجىٰ من عذاب الله من ذكر الله»**، وصحّحه العلاّمة الألبانيُّ في «صحيح التّرغيب» (١٤٩٣).

[٢٧] أنه يسعد الذّاكر بذكره ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان، والغافل واللاغي يشقىٰ بلغوه وتشقىٰ به مجالسه.

[٢٨] أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه - تعالىٰ - كان عليه حسرة وكرة يوم القيامة.

[٢٩] أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله - تعالىٰ - العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه.

[٣٠] أنّ الاشتغال به سبب لعطاء الله لذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

[٣١] أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

[٣٢] أنه غراس الجنة، كما قال - ﷺ -: «**وإنّ غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله**»[١].

(١) أخرجه التّرمذيّ (٣٤٦٢)، وصحّحه العلاّمة الألبانيّ -رحمه الله- في «السلسلة الصّحيحة» (١٠٥).

[٣٣] أنّ العطاء والفضل الّذي رتّب عليه لم يرتب علىٰ غيره من الأعمال.

[٣٤] أنّ دوام ذكر الربّ - تبارك وتعالىٰ - يوجب الأمان من نسيانه الّذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده؛ فإنّ نسيان الرّبّ-سبحانه وتعالىٰ- يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالىٰ -: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [الحشر: ١٩].

[٣٥] أنّ الذّكر يسير (أي: سهل) للعبد وهو في فراشه، وفي سوقه، وفي صحّته وسقمه، وفي الأحوال والأوقات كلها.

[٣٦] أنّ الذّكْر نور للذاكر في الدُّنيا، ونور له في قبره ويوم معاده.

[٣٧] أنَّ الذّكر رأس الأصول وطريق الوصول إلىٰ الله - عزّ وجلّ - .

[٣٨] أنّ في القلب خلّة وفاقة لا يسدها شيء البتّة إلاّ ذكر الله – عزّ وجلّ – .

[٣٩] أنّ الذّكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع القلب، ويفرق الهموم والأحزان، ويفرق الشيطان وجنده، ويقرب الآخرة وهي بعيدة، ويبعد الدُّنيا وهي قريبة .

[٤٠] أن الذكر ينبّه القلب من نومه ويوقظه من سِنَته .

[٤١] أنّ الذّكر شجرة تثمرالمعارف والأحوال التّي شمر إليها السّالكون، فلا سبيل إلىٰ نيل ثمارها إلاّ من شجرة الذكر .

[٤٢] أنّ الذّاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه،وهي معيّة خاصة غير معيّة العلم والإحاطة العامة(١) .

---

(١) جاء من حديث أبي هريرة – ﷺ –: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» أخرجه البخاريّ (٥٠٨) .

[٤٣] أنّ الذّكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال وغيرها من الأعمال العظيمة.

[٤٤] أنّ الذّكر رأس الشّكر، فما شكر الله تعالىٰ من لم يذكره.

[٤٥] أن أكرم الخلق علىٰ الله – تعالىٰ – من المتقين مَنْ لا يزال لسانه رطبًا بذكره؛ فإنه أتقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره، فالتّقوىٰ أوجبت له دخول الجنّة والنّجاة من النار، وهذا هو الثّواب والأجر، والذكر يوجب له القرب من الله – عزّ وجلّ – والزّلفىٰ لديه وهذه هي المنزلة.

[٤٦] أنّ في القلب قسوة لا يذيبها إلاّ ذكر الله –تعالىٰ – فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله –تعالىٰ – وذكر حمّاد بن زيد عن المعلي بن زياد

أنّ رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلب قال: أذبه بالذّكر(١).

[٤٧] أنّ الذّكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة ، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله – تعالىٰ –، قال مكحول: ذكر الله – تعالىٰ – شفاءٌ وذكر الناس داءٌ .

[٤٨] أنّ الذّكر أصل موالاة الله – عزّ وجلّ – ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإنّ العبد لا يزال يذكر ربه – عزّ وجلّ – حتَّىٰ يحبه ؛ فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتَّىٰ يبغضه ؛ فيعاديه.

[٤٩] أنّه ما استجلبت نعم الله – عزّ وجلّ – واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله – تعالىٰ –، فالذّكر جلاب للنعم دافع للنقم.

---

(١) أخرجه البيهقيّ في «الشّعب» (٧٠٣).

[٥٠] أنَّ الذّكر يوجب صلاة الله – عزّ وجلّ – وملائكته علىٰ الذّاكر، ومن صلّىٰ الله – تعالىٰ – عليه وملائكته فقد أفلح كل فلاح، وفاز كل فوز، قال – سبحانه وتعالىٰ – : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

[٥١] إنّ من شاء أن يسكن رياض الجنّة في الدّنيا فليستوطن مجالس الذّكر.

[٥٢] إنّ مجالس الذّكر مجالس الملائكة ، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلاّ مجلس يُذكر الله – تعالىٰ – فيه.

[٥٣] أنّ الله – عزّ وجلّ – يُباهي بالذّاكرين ملائكته.

[٥٤] أنّ مُدمن الذّكر يدخل الجنة وهو يضحك.

[٥٥]أن جميع الأعمال شرعت إقامة لذكر الله، والمقصود بها تحصيل ذكر الله – تعالىٰ –.

[٥٦] أنَّ أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله – عزّ وجلّ –.

[٥٧] أنّ المداومة علىٰ الذّكر تنوب عن التطوّعات وتقوم مقامها.

[٥٨] أن ذكر الله – عزّ وجلّ – من أكبر العون علىٰ طاعته، فإنه يحبّبها إلىٰ العبد ويسهّلها عليه، ويلذّذها له، ويجعل قرة عينه فيها ونعيمه وسروره بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد من الغافل ، والتجربة شاهدة بذلك.

[٥٩] أنّ ذكر الله – عزّ وجلّ – يذهب عن القلب

مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن.

[٦٠] أنّ الذّكر يعطي الذّاكر قوّة حتّىٰ أنّه يفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه.

[٦١] أنّ عمّال الآخرة كلهم في مضمار السّباق ، والذّاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار.

[٦٢] أنّ الذكر سبب لتصديق الربّ - عزّ وجلّ - عبده، فإنه أخبر عن الله - تعالىٰ - بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه ومن صدقه الله - تعالىٰ - لم يحشر مع الكاذبين ورجىٰ له أن يحشر مع الصّادقين.

[٦٣] أنّ دور الجنّة تُبنىٰ مع الذّكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء.

[٦٤] أنّ الذّكر سدّ بين العبد وبين جهنّم، فإذا كان له إلىٰ جهنّم طريق من عمل من الأعمال كان الذّكرسداً في تلك الطريق ، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملاً كان سداً محكمًا لا منفذ .

[٦٥] أنّ الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب .

[٦٦] أنّ الجبال والقفار تتباهىٰ وتستبشر بمن يذكر الله – عزّ وجل – عليها .

[٦٧] إنّ كثرة ذكر الله – عزّ وجلّ – أمان من النّفاق ، فإنّ المنافقين قليلوا الذّكر لله – عزّ وجلّ – قال الله – عزّ وجلّ – في المنافقين: ﴿ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) ﴾ [النّساء: ١٤٢].

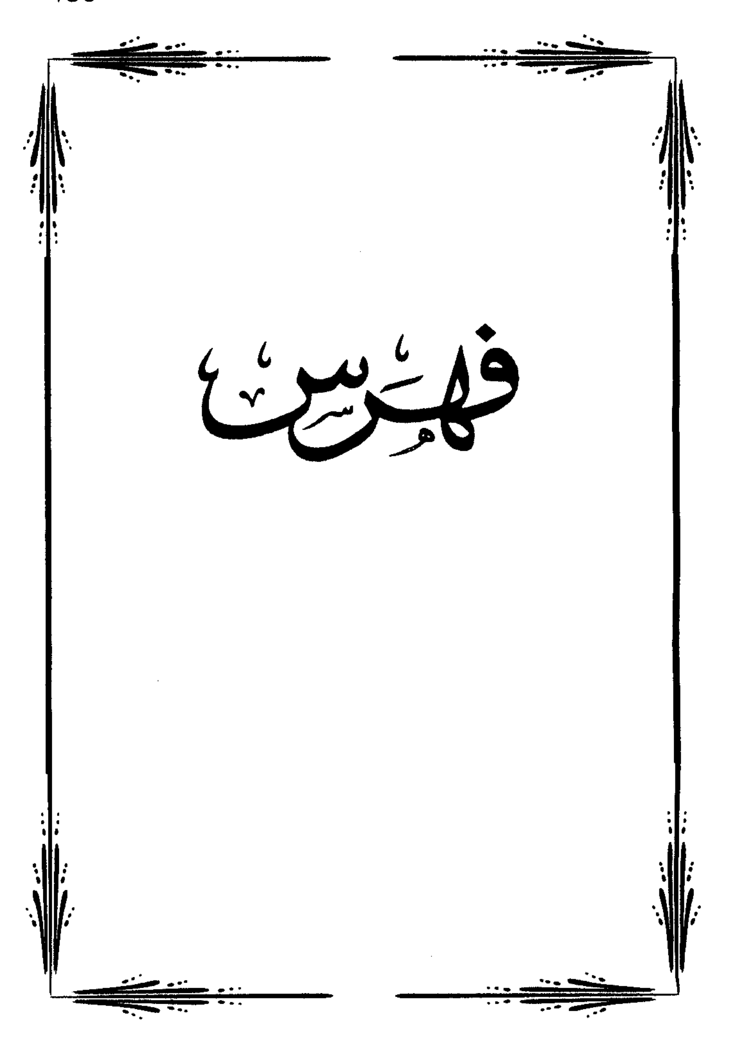
[٦٨] إنّ للذكر من بين الأعمال لذّة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلاّ اللّذة الحاصلة

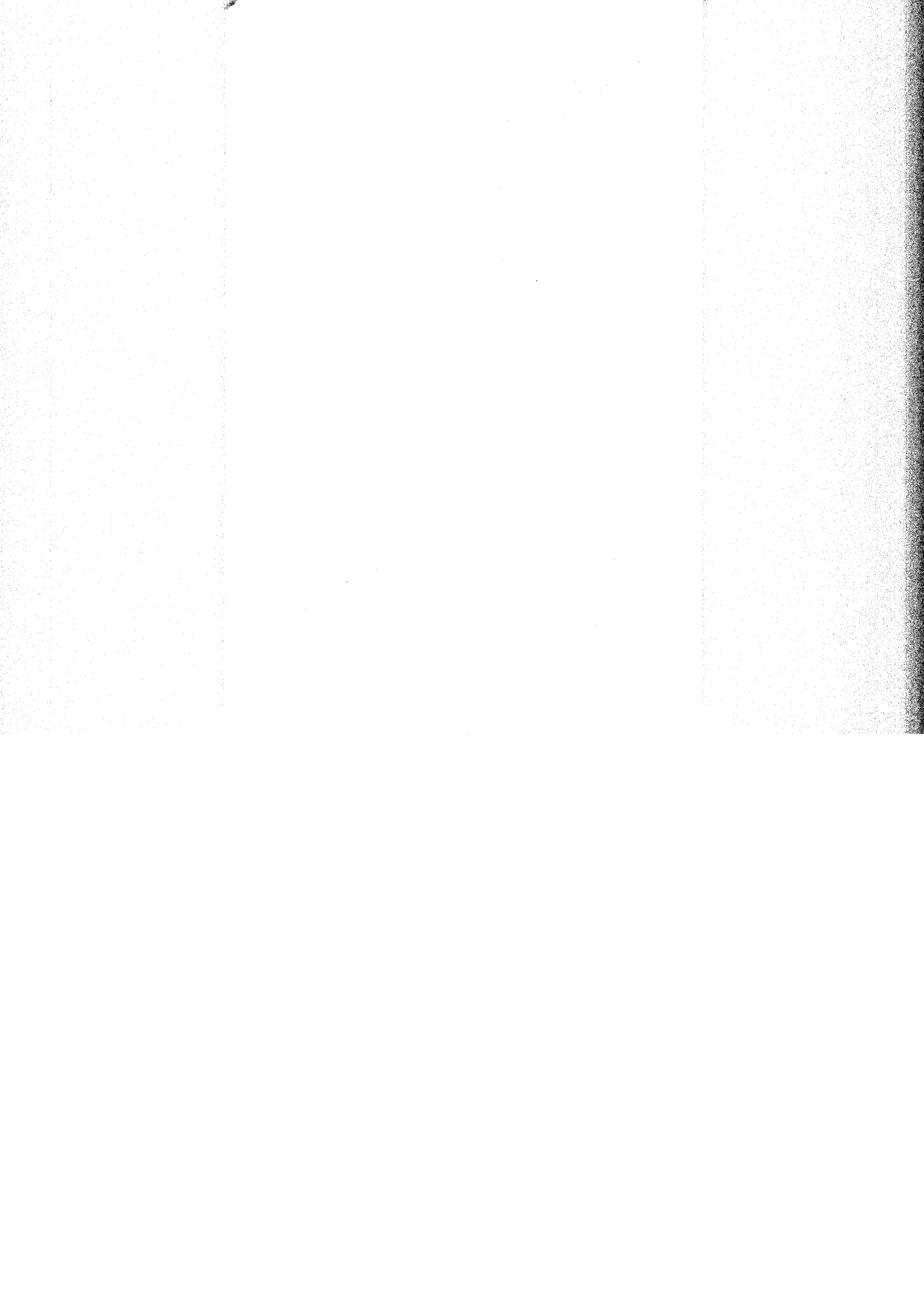
للذّاكر والنّعيم الّذي يحصل لقلبه لكفىٰ به؛ ولهذا سُمّيت مجالس الذكر رياض الجنّة.

[٦٩] إنّ الذّكر يكسو الوجه نضرة في الدُّنيا ونوراً في الآخرة، فالذّاكرون أنضر النّاس وجوهًا في الدُّنيا، ونورهم في الآخرة.

[٧٠] إنّ في دوام الذّكر في الطريق والبيت والحضر والسّفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإنّ البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، قال – تعالىٰ –: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) ﴾ [الزلزلة: ٤].

[٧١] إنّ في الاشتغال بالذكر اشتغال عن الكلام الباطل من الغيبة واللغو، ومدح الناس وذمهم، وغير ذلك، فإنّ اللّسان لا يسكت البتة، فإمّا لسان ذاكر وإمّا لسان لاغ، ولأبُدَّ من أحدهما.


فهرس



فهرس

رقم الصفحة

